رواية

الخطّة Z

Plan Z

خالد عابدين





الخطة (Z)

ديوى : 813
عابدين ، خالد
الخطة Z / خالد عابدين
الإسكندرية : حسناء للنشر
ط1 / 2016
118 ص ، 20 سم
تدمك : 978-977-6535-21-3
قصص
أ- الخطة Z
ب- خالد عابدين
رقم الإيداع : 1800 / 2016



الإسكندرية ، ج . م . ع
01018831361
01022842898

المدير العام : عادل أبو الأنوار

المراجعة اللغوية : أفنان عمر
الإخراج الفنى : أمير مصطفى

إهداء ٢٠١٦

دار حسناء

جمهورية مصر العربية

الخطة (Z)

رواية

خالد عابدين





إهداء

· إلى الحبيبين .. تاج الرأس ونور العين وعشق الفؤاد .. أمي وأبي.

إلى طفلتي.. تلك الصغيرة الواهبة إياي جمال الأبوة قبل حلول الأوان

وأيضاً .. إليكم يا رِفاق الحُلم الموعود .

يقولون أنَ باطن الأرض به عالم أخر من البشر لا الجان يُراقبنا عن كثب، يُدرك صغائر الأمور قبل كبائرها، يبحثون بجدية عن تفكيك المُعضلات مُفاداة الأحياء هوّية إلى الجحيم ويزعمون إيجاد السبيل، ينقصهم فحسب بشرى يخلق الاتصال بين العالمَين .. حقيقة لا أود المغامرة .. إن كنت تّودَ أنت يا عزيزى فأكمل التصفَح .. !

(1)

قتل خلال مئة يوم فقط من المذابح الجماعية في رواندا نحـــو 800 ألف شخص في عام 1994 على يد متطرفين من قبائل الهوتو الذين استهدفوا أفراد أقلية التوتسي بالإضافة إلى خصومهم السياسيين الذين لا ينتمون إلى أصولهم العرقية، ينتمي نحو 85 في المئة من الروانديين إلى إثنية الهوتو، غير أن أقلية التوتسي هيمنت على البلاد لفترة طويلة في عام 1959 أطاح الهوتو بالحكم الملكي للتوتسي وفر عشـــرات الآلاف منهم إلى دول مجاورة من بينها أوغندا، وشكلت مجموعة من التوتسي في المنفى جماعة متمردة أطلـــق عليهـــا (الجبهـــة الوطنيـــة الرواندية) التي غزت رواندا عام 1990 واستمر القتال إلى أن أبـــرم اتفاق سلام عام 1993

في ليلة السادس من إبريل/نيسان عام 1994 أسقطت طائرة كانت تقل الرئيس الرواندي آنذاك جوفينال هابياريمانا ونظيره البورونـــدي سيبريان نتارياميرا وقتل جميع من كانوا على متنها، وأنحى متشـــددو الهوتو باللائمة على جماعة الجبهة الوطنية المتمردة وبدأوا على الفـــور حملة منظمة للقتل، وقالت الجبهة الوطنية الرواندية إن الهوتو هم من أسقطوا الطائرة كذريعة لتنفيذ إبادة جماعية

سُلمت قوائم بالغة التنظيم بأسماء خصوم الحكومـــة إلى الميليشـــيات الذين ذهبوا وقتلوهم وجميع أفراد أسرهم، وقتل الجيران جيرانهم كما قتل بعض الأزواج زوجاتهم المنتميات للتوتسي وقيل لهم إن رفضـــوا

فسوف يقتلون، وكانت بطاقات الهوية الشخصية في ذلك الوقت تتضمن تحديد الانتماء العرقي، ومن ثم أنشئت الميليشيات نقاط تفتيش في الطرق حيث كان يجري قتل التوتسي، كما احتجزت الالاف من نساء التوتسي لاستغلالهن في إشباع الرغبات الجنسية
لطالما كانت رواندا من المجتمعات التي تخضع للنظام الصارم، وهو مجتمع منظم مثل هرم متدرج يتكون من المقاطعة وصولا إلى المسؤولين الكبار في الحكومة، وكان لدى الحزب الحاكم في ذلك الوقت، الحركة الوطنية الجمهورية من أجل الديمقراطية والتنمية، جناح شبابي يطلق عليه اسم (إنتراهاموي)، تحولت إلى ميليشيا تنفذ المذابح

كما سلمت الأسلحة وقوائم الاغتيال لجماعات محلية كانت تعرف بالضبط أين تجد أهدافها، كما أنشأ متطرفو الهوتو محطات إذاعية وصحفا تنشر الكراهية وتحث الناس على "التخلص من الصراصير"، أي قتل التوتسي، وكانت الإذاعة تبث أسماء الأشخاص الموجودين على قوائم القتل، حتى القساوسة والراهبات، اتهموا بالقتل من بينهم بعض ممن لجأ إلى الاختباء في الكنائس، كما .... "

يبدو أن أحدهم ضغط زر الإغلاق فقُتل صوت قارئ التقرير !
ما توقعانه صحيحاً، إنه المُشاغب حسن قاسم .. مُكتفيًا بهذا القدر من الطواف بين المحطات الإخبارية ومُذعنًا لعويل جوربه المُثقل برائحة مُشينة، وتجنباً لموشح سُباب ستُطلقها مُقلتاه خلال دقائق،

كذلك الخوف من لعنات تسكُبها كافة أعضاء جسده .. أثر " أبـــو
على " الذهاب فورًا إلى فِراشاه، ألقى نظرة خاطفة صوب معمعـــة
رسائله عّلها حُبلى بجديد، ولكن لا جديد، سينام جارًا ذيل الخيبة
كعادته .. تلك الفتاة المُتغطرسة لا تزال تاركة عرضه دون رّدّ، ليس
هذا فحسب، بل تستحقره ببقاء الـــ " سِين "

يا له من مُقّنع ساذج يُعرض عن طرق الباب مُتسلقًا نافذة مُريبة!
تعي أحشائه الفارغة ثِقل سُباته فأخذت تكيل إليه تأنيب عجز عـــن
تجاوزه ..

- بعد اللف ده كله معاك يا واطي طول النهار من غير لقمة هتسيبنى
اكل فى نفسى وتنام ! .. اخص عليك عديم الدم

- يوووه جينا للزن بتاع كل يوم .. مفيش غير برجـــر مُجمـــد فى
التلاجه، نقلى منه وتسكتى ولا هتشتكى ليـــه ويســـمعنا اســـطوانة
الإرشادات الطبية بتاع كل يوم .. هيجيلك سكر مـــن الوجبـــات
السريعة يا حسن .. هيجيلك ضغط يا حسن .. هيجيلك سرطان يا
حسن .. هيجيلك تسلخات يا حسن .

- أنا الغلطانة .. انت الأشكال اللى زيك مش عارفه هيتعاملوا ازاى
مع المرضى ويوجهوهم ويساعدوهم علي تحسين حالتهم الصـــحية ؟
.. أنا اللى منك بتعذبنى معاك، يبقى هتعمل إيه فى الغلابة دول ؟ ..
ما انت يا فاشل لو بتحضر محاضرات كنـــت عرفـــت يعـــنى إيـــه
" Health Care Provider" .

- ما لكيش دعوة خليكى فى حالك .. أنا هقوم اعمل الأكل علشان تخرسى.
- ابقى روح اشتغل " ميديكال ريب " لحد ما يطلع عينك ..
- فلوس وعربيات ورحلات وأخر أبهة .. إيه اللى مضايقك بقى؟
- اعمل اللى يريحك يا حسن .. أنا مش هتكلم معاك فى حاجه تانى .
- يكون أفضل .. وبعدين تعالى هنا انتى بتفتحى المواضيع دى ليه ؟ انتى تاكلى وبس .. ما تفكريش ..
- المسكين من كتر التعب نام وسابنى ارغى معاك .. وياريته ما حصل .. الله يعينه عليك .
- اوعى تعمليها تانى .. مش هيبقى انتى وهو !
تناول وجبته المشبعة بالدهون لإخراس أحشاءه اللاعبة دور عقله الحكيم ثم احتضن الفراش ...
ألواح خشبية مُتهاوية، مرتبة مُعرجّة ويكأنها بمثابة سوستة قفز تعيسة كتلك التى يرتع فوقها الصغار فى دُنيا الملاهى، قطعة القماش المُسماة بـ " الملاية " مُتزوية فى الجانب السفلى رُغم أنها صُنعت خصيصًا لتغطية أفق الفراش .. لم يكن الوضع ليظل على حالته الرثة تلك لولا سفر السيد محمد قاسم وزوجته خارج البلاد .. على أية حال فإن تلك الكومة المُقززة ستفى بالغرض، ولو كان الوضع أشد بؤساً فلا مانع أيضًا .. ما لشئ أن يُعكر صفو غيبوبته سوى رنين الهاتف عدة

مرات مدعوماً بأصواتٍ مُتداخلة من أعماق ضميره ناهرة إياه كـــى ينهض للحاق بـــالحصص المعملية " السكاشن "
لا يستطيع إنكار تخوفه من خُسران بعض أرصدته داخـــل ســـجل الحضور، تجاوز نسبة الـ 25 % من المُجمل يعنى أن تقـــول علـــى تلك المادة السلام .. أما تلك الأيام الخوالى من قبضة المعمل مُترعـــة المحاضرات النظرية فلا ضرر يقدم من تركها، وليحفظ الله له باسم .. فقط يتأذى هاتفه المحمول من لكمات يتكبّدها جراء أمنيـــة حســـن المستحيلة فى الإستيقاظ للفوز بأىِ منها .
لكم هو مُرهق للغاية أن تصير صاحب إهتمامات جمام ويبتليك الله بدراسة مجال كعلم الصيدلة، حيث تتناثر مئات الأوراق من حولـــك عقب مرور أسابيع طِفيفة، كما أن يُداهمك طالـــب مـــن أولئـــك المُحتلين مقعداً فى الدور الأول داخل قاعة المحاضرات بفـــراغ أحـــد أساتذة الاقسام من شرح كتابه الأول، بينما أنت ما زلـــت ســـكيرًا بنشوة إجازتك المُنصرمة لخبر محبط حقًا .
محور الأحداث أحد هؤلاء المشاغبين المعروفين بـــ " الثورجية " .. لا تمر فاعلية مُناهضة لسياسات الدولة وتوحش رأسمالية المحاسيب من بين أصابعه، أينما صدر ضجيج حناجر أو تصاعدت ألسنة غضـــب بادر بالهرولة إلى تأييدها .. لا عمار بينه وبين السلطات
تشعر بالشفقة إزاء السائرين على نهجه، تُبح أصواتهم فى المُنـــاداة بمصطلحات يجهلها قطاع عريض من الناس، ومن علموها ما الفوها، سمع عن مُحاربين من أجيال تعلوه تذوقوا حلاوة ما يلـــهث خلفـــه

خلال فترة زمنية تسربت كما يتسرب الضوء شفيفًا .. ثم ارتد الليل مُوصِدًا ثقوب أشعة النهار

أليس الاحتفاظ بجدول مباريات " الليغا الاسبانية " ومتابعة الصراع المدريدى — الكتالونى أو حتى كلاسيكو " الايجبشن ليغ " بين الغريمين الأبيض والأحمر أجدر كثيرًا !

لما لا يغرق هولاء فى بحر الروايات والقصص ؟ .. أصحابها يتجشمّون عناء التفكير والتخيل شهورًا ثم يترفعون هم عن قضاء ساعة لإستنباط فحواها

أيًا كان ما يشغل به شُبان عقد مُتقدم من القرن الواحد والعشرين أوقات فراغهم فقطعًا أريح لأدمغتهم من دهاليز السياسة ومراوغاتها فوق أرض لا يُنتظر من سُكّانها إصغاء جيد وتراتب أولويات فى القريب العاجل .

على كل من الأصلح لى ترك تلك الجدلية قبل مُغادرة أولئك المُغرمّون بعض الجنيهات لإقتناء الحكاية صفحاتها، إمعان الانتباه ناحية ذلك الشاب المُقدر لى مُصاحبته خلال تجربتى الأولى أحق بالاهتمام.

– متأخر ليه يا دكتور ؟ .. نص غياب واقفل البالطو لو سمحت

حادثة تقع مرارًا وتكرارًا، يعرفها السواد الأعظم من الطلاب، رُغم يقظته المبكرة أحيانًا لقطع رحلته اليومية المُستغرقة زهاء الساعة

ونصف الساعة إلا أنه دوما ما يلاحقه الفشل، فتارة يفعلـــها المتـــرو وتارة يفعلها هو بنفسه .. طباعة وريقات واجبة التسليم أو إستكمال فراغات سيفتش معيدو القسم عن حشوها نهايـــة الحصـــة المعمليـــة يستدعى حالة طوارئ لدقائق ليست بالزهيدة خارج المعمل .
للكسل ضريبة تدفعها حينما تغرز قدماك فى وحل محرج كهذا، حتى وإن صار الأمر مستساغًا لديك ..

رُبما تلتمس لهولاء بعضاً من عُذر، فالأقسام عديدة، ولكُل منـــها " محاضراته ومعامله وأبحاثه وشيتاته وكويزاته الخاصة "، على الأرجـــح أنت بحاجة لرأس إضافية تضعها بحجرتـــك للتبـــديل بينـــها وبـــين المُستخدمة من حين لأخر، تحّمل أعباء تلك الدراسة لا يســـعها رأس واحد !
– بقولك إيه يا باسم .. هخلع انا وانت كمّر من كل كيس شوية وارميهم فى البوكس، بالنظر والشم كدة نفرقهم، مش هنعمى عنينا تحت الميكروسكوب، إحنا خلاص خبرة ..
صاغ الزميلان ضحِكات مُتعالية مُفحمة بالشر كما ولو أنها صـــادرة عن أخرقينِ يتعاطان المُخدرات .
موجهًا حسن هذا الأمر لرفيق معمله باسم عصمت، واحـــد مـــن أولئك الطلاب المُطلق عليهم " الدحيحة "، وافد من أســـرة يحجـــز أبنائها فور ولادهم مِقعداً فى كلية من تلك المُدعاة فى بلادنا بـــ " القمة "، لن تتعرق جبهتك أو تحمر وجنتيك إذا ما ســـهوت عـــن

وظيفة أحدهم، خياراتك محصورة، فقط قل يـا دكتـور فـلان أو مهندس علان، على الأرجح ستُصيب كبد الأمر بأحدهما .
العميد باسم كما يُلقّب، شديد الودادة مُتزن التفكير، يكره المُغامرات ويُقدس الواقعية، يعتز بصداقة حسن ويُزكّى شهامته، وأيضًا يعيـب تهوره، لا يتبرم المشاغب من وصايته ولا يراها العميد وقـرًا عليـه. إتقاءًا لشرد ذهنك ناحية توقع ليس بالصـحيح دعـنى أخـبرك .. الحديث الدائر هُنالك فى معمل العقاقير لا يمت لـ "ثمة كوكـايين أو إنتشاقة أمفيتامين" بـأى صـلة، أهـلًا بكـم فى حضـرة " الفارماكوجنوزى " حيث كل ما يخصّ النباتات والأعشاب الطبية مدار الترم الواحد تتعرف على حزمة منهاه عند كل معمل يحـرص غالبية الطلاب على إخفاء حفنة من مسحوق شتى النباتـات تحـت أنظار المعيدين، رائحة القرفة النفاذة، صبغة الكركديه المميزة، بـذرة الحِلبة الفريدة ستُنقذك حين الاختبار المعملى أثناء فحـص مجهـول يتحتم معرفته وسرد سيرته الذاتية .. أعتذر عن كل تلك الجعجعة فى تفاصيل لا تعنى الكثيرين، فقط أردت نفى شُبهة السـرقة ومُداعبـة المُخدرات عن الشايين .

فرغ من ثلاثاءه المُزعج بعد قضاء ست ساعات داخل المُدرج وراح يُنبأ رفيقه بالكارثة الجديدة .. كورات الصيدلة لا تنتهى

- ايه الدوشه اللى حواليك دى يا حسن ؟

- دوشة إيه يا باسم ! .. أنا مش سامع أى دوشة

– حسن سيبك من المكر ده، انت فى مظاهرة يا حسن صح ؟
– انت تعرف عنى انى بتاع الكلام ده .. (قالها بثغر يحمل ابتسـامة مُحتالة)
– انت هتقولى ! .. عموما بكره عندنا امتحان فارما عليه عشـرين درجة والمحتوى الكتاب الأول كله
– الله يخرب بيتك يا باسم، لحقتوا تخلصوا الكتاب الأول كله !
– أنا مال أهلى يا عم هو أنا اللى بشرح .. انجز وروح البيت تلحق تذاكر كلمتين تحل بيهم أى حاجه
– لاااا .. اذاكر مين يا معلم، انت تخليك كفاءة كده وتعدى عليـا نذاكر لحد الصبح
– انسى يا حسن، انت هتقعد قدام الأخبار والبرامج السياسية ومش هتقضى مصلحة
– أوعدك يا باسم مفيش تلفزيون، وبعدين انـت مسـتغنى عـن مشروب الـ " اسبريسو ماكياتو " اللذيذ المُتقن من أيادى أبو على
– بلاش حالة الإغراء دى يا حسن .. خلاص ع البركـة، هوصـل مريم البيت والساعة 5 هستناك على القهوة
– خمسة بالدقيقة هكون معاك

(2)

نحن بحاجة إلى بشر يؤمنون بتلك الكلمة الكريهة المنسوجة من أربعة حروفٍ .. اقتل !

فى طريق العاصمة المصرية القاهرة إلى شمالها جنـوب دلتـا النيـل تواجدت مدينة ذات أراضٍ رحيبه تُخفى بداخلها أمر ما، لا يستطيع المار التكّهن بباطِنها .. مُغلقة الجوانب مسقوفة الفضاء، قبل الوصول إلى بوابتها الضخمة يستوقفك مسلحون فى كمائن مُجّهزة بأحـدث وسائل المراقبة والتفتيش .. ما لم يكن عضوك التناسلى يحمل وشـم الخلود فلن يُسمح لك العبور !

تنقسم المدينة إلى بضعة قطاعات رئيسية لكل منها قائد رفيع القدر، شُكلت تلك القطاعات من المَهرة المُخلصين، يسبق ولائهم إبداعهم، عند نشأتها منذ سنوات كانت المدينة بمثابة أرض عمل مؤقت يعـود أجيرها إلى مسكنه بعد إنتهاء دوامه، وسُرعان ما أضحت تحقق حياة متكاملة .. شعب فى قلب الشعب ودولة داخل الدولة !

– الضوء الأخضر وصل من الراجل الجديد يافندم

– مضمون صمته لحد النهاية ؟

– بالتأكيد، ما بقتش مُعضلة حكام خلاصِ، تجاوزنا العقبة دى مـن سنين، هو بلغ الوفد إنه هيقف على الحياد، وبعد الخلاص هينضـم للحاسم .

– هو عنده شك إن الحسم لينا !

– أرباب السلطة ما يراهنوش على عصافير فوق شجرة .

– لكن دول حُثالة مُجردين من أى دعم، هندوسهم برجلينا فى شوية ساعات .

- هو ودايرته خارج المُباراة دى تماما، هيكتفوا بالمشاهدة من المدرجات، كل الإمكانيات متروكة للمتصارعين .. المعركة صفرية .. يا مبادئنا يا مبادئهم .

- والوضع فى الخارج هيتعامل معاه إزاى ؟

- مفيش خارج .. كل الأبواب والنوافذ هتتسكر لحد ما يُقضى الأمر .

- دخولهم المصيدة أكثر إقناعاً من خلالهم .

- تهيئة الساحة هيقوموا بيه، بس مع أول طلقة هو واللى معاه بعيدين عن كل الحسابات .

- مش مطمن .

- كلامه كان واضح، هو دارس جيد للوضع وقارئ مُتقن للسنوات اللى مضت، مقتنع إن الحل فى سحق طرف للطرف التانى؛ وقتها اللى على قيد الحياة مبروك عليه الدولة والأرض للأبد .

- معانا ولا علينا ؟

- لا معانا ولا علينا .. خالص أمنياته لينا بالتوفيق .

استدار المقعد ناحية محتويات الغرفة تاركًا خلفه الأفق يعج بزمجرة رعد وتوعد برق، رمى الستينى ذو الوجه المتملق سيجار الكوهيبيا القادم من كوبا إلى قلب المرمدة ثم نهض بمساعدة عصاه مُتحشمًا عَثل كِرشه وسار نحو لوحة تشع تشفيًا، رأس منعزلة عن جسدها يجثم أنفها قدم يتبسّم وجه صاحبها حتى يوشك أن يُزال ما بين شقى

فمه من حدود، بادله الرجل إبتسامة مثيلة ثم قام بتنحية اللوحة جانبًا، ضغط زر جهاز إلكترونى بيده أوقع صوتًا ينم عن فتح بوابة ما، اخرج ملفًا عُنون بـ " سرى للغاية " تلاها فى المنتصف ..الخطة "Z" .. رمقها بإعجاب مُغمغمًا " لكم ما تريدون يا أولاد العاهرة "

****

- ناهرًا حنث صديقه بتوقيت لُقياهم تأفف باسم ..

- الساعة خمسة ونص يا حسن، هو ده اللى بالدقيقة هكون معاك!

التقط المُشاغب أنفاسه ..

- عندى أنا المره دى، يا دوب زوغت من المُخبر، وبعدين ما انت معاك نسخة من مفتاح الشقة حسيت انى أخرت اطلع يا عم

- مخبر !! .. مخبر ايه ؟ .. أنا مروح بيتنا ياحسن، مش مستعد أروح فى داهية بسبب أوهامك دى، قولتلك مليون مرة الهد، البلد دى عمرها ما هتتغير، ابن الوزير وزير وابن الكلب كلب

- فيها إيه يعنى لما نحاول يا باسم، الجيل اللى قبلنا حاولوا ونجحوا، شكلك ما سمعتش عن ظاهرة البوعزيزية المصرية مُبهرة العالم

- لا سمعت يا عم المناضل، بس إنت اللى مش مركز حبتين، فاكر اللى حصل خلال الـ 4 سنين، ولا انت مُنبهر بلقطة واحدة وعامل نفسك أعمى عن الكوارث اللي حت بعدها، الثورة فشلت يا حسن ولازم تقتنع بده، ولو...

- خلاص يا باسم، إنت إيه يا أخى ! حنفية إحباط ، ماعلينا، عموما ما تقلقش أنا فعلا زوغت منه

تسكع الرفيقان لجلب ما يُخرس عِواء المَعدة دوام مسيرتهما الليلية، لا فُسحة من الوقت تقبل الإهدار أمام الترال الحالل، قيلولة فى موضع خاطئ قُبيل الغروب، ثم يهرعان إلى الإستلطاف والتدليل، خاصة ذلك المخمور فى تطلعاته بحاجة إلى أفدنة شعر وربابة .. عَلّ عُتاة الاضطراب النفسى يرأفون به

"انتظرتك طويلاً، وما كان لى أن أتيك إلا ببزوغ إحدى علامات السير تجاه الكارثة، داخل ردائى الأبيض تعرف كل شئ، وبعد أن تعرف لا تيأس، فأنت الأحرص على تجنب وقوع الجحيم ... صديقك الراحل : حسن قاسم !!"

– بطل نوم بقى يا حسن، العشرين درجة هيطيروا الله يسامحك يا أخى .

– يعنى هما أول عشرين ولا أخر عشرين.

لعن طواعيته لهذا المستهتر ..

– هزر معاك يا حضرة العميد، فى لمح البصر واسرع من الفاصل الزمنى بين كلمة " شفت " وما تليها فى سبوت الميكرو هكون متوضى ونصلى العشا وننطلق

– " شفت " يا حسن

تلّوى الطائش هنا وهناك إلى أن أسكنه الراسخ بجواره لقصّ شـــريط ليلة الفارما المُرتقبة، ودّ المُسامرة عن فتاته مُذيبة فؤاده فأبى باسم لتعلو راية الاجتهاد خفاقة رُغما عن رغبة حسن اللاهية ..

– بص يا أبو على، الكتاب الأول كله عبارة عن أدوية الأمــراض النفسية، فأنت تركز معايا كده علشان تاخد خُلاصة الليلة دى

لا يقوى المُنضم إلى عربة قطار المنهج متأخرًا علـــى تمـــام الإحاطـــة بأطراف مواد يراها كصحراء تُذيقه التيّه، لذا يتلمّس حسن وشريحته الجللَ ويحتبقرون التفاصيل

– الجماعة دول ما عندهمش مهم ومش مهم، الظلمة بيتزلوا أجـــزاء إضافية فوق الكتاب، هحاول وربك كبير

– اتفضل يا سيادة العميد .. كلى أذان صاغية

– البداية هتكون مع مضادات الإكتئـــاب، بعـــدها نـــدخل علـــى الشيزوفرينيا وأدويتها، والختام بالمهدئات ومضادات الأرق، ولو لحقنا نجيب الصرع فى المترو يبقى فُله

– خلاص يا باسم أنا شبعت من اللى إنت قولتـــه، مفـــيش داعـــى لتفاصيل أكتر، أنا داخل أنام وأنت خليك فى إكتئابك وصرعك، الله الغنى يا سيدى

– أجمد كده يا حسن، ده إحنا لسه بنقول يا هادى، بسم الله الرحمن الرحيم ..

" الواحدة صباحاً "

- في حالة انفصام الشخصية بيظهر مجموعة من الإضطرابات الادراكية والمعرفية والسلوكية، بيتخيل المريض أشياء غير حقيقية، وبيقتنع بأمور خيالية، يتكلم مع نفسه أحياناً، يعتقد بتآمر الناس حواليه، وكمان ..

." صديقك الراحل : حسن قاسم !! "

- حسن انت معايا ولا سرحت ؟

- باسم، في حاجة غريبة حصلت، حسن قاسم اتكلم معايا تاني وطلب مني اتدخل قبل وقوع الكارثة !

- انت هتهيس ع السيرة ولا ايه .. بقولك إيه صحصح معايا كده وسيبك من الاسلوب ده، مش معنى إننا نص الليل هتشتغلني .. بعدين مين حسن قاسم !

- أنا مش بهزر يا أخي أنا بتكلم بجد، دي تالت مرة خلال أسبوع .. " انتظرتك طويلاً، وما كان لي أن آتيك إلا ببزوغ إحدى علامات السير تجاه الكارثة، داخل ردائي الأبيض تعرف كل شيء، وبعد أن تعرف لا تيأس، فأنت الأحرص على تجنب وقوع الجحيم، صديقك الراحل : حسن قاسم !! "

- دي جملة لاقطها من رواية رعب يعني وحابب تسيب أعصابي بيها؟

- إنت عارفني مفيش بيني وبين الروايات كيميا، كده اوفر يا عم حسن .. وبعدين بقى ؟

أترس باسم باب خرافاته، وأكمل المسير ..

مّر الاختبار كما يمر العشرات، لا ضير يا مسكين ستنعم بالتبّلد، ألهى المُحّد استديو تحليل الاختبار وتفرقت الإناث من حوله، ليس باسم بالولد الوسيم صائد الفراشات، إنما يقع الإلتفات للتيقن من إجابات أسئلة تخلق الجدل ثم يُفضّى كلٌ إلى حاله، شرع يرمق ولده صانع القلاقل دون جدوى ..

- فينك يا ابني؟ .. طلعت من الامتحان وبُقيلى ساعة بدور عليك ؟

- لا أنا خلعت بسرعة، في مصلحة كده لازم اقضيها

طمني عملت إيه ؟

- والله ياباسم مش عارف عملت إيه .. تحس الاجابسات كلها تمشى صح وكلها تمشى غلط، والبركة في حرف الـ " بى "

- حرف الـ " بّيِ " ! .. طيب ربنا يستر عليك يا حسن، مش هتسيبك إنت من المصالح بتاعتك إلا لما تجرجرنا وراك في أقسام الشرطة وعنابر السجون

- يا باشا اطمن الوضع تحت السيطرة .. (قالها بثقة شرسة)

- ابقى سلملى على العصفورة يا حسن

لا يُلمّح باسم بذلك إلى فتاة رشيقة كالعصفور، إنما المعّنِ هُنا ذاك المُرشد المُتتبع حسن ورِفاقه المُشاغبين بعد إنقضاء وقفتهم

ضحك حسن وأجاب رفيقه بتلبية ما يريد
- من عينيا حاضر يوصل سلامك، يلا طير إنت بقى، بيان الذكرى الـ 20 لأحداث ميدان الشام بدأ، سلام يا عميد.

بالقرب من شارع عبد الخالق ثروت وفوق سلالم نقابة الصحفيين وقف العشرات يُحيون ذكرى أحداث مؤلمة وقعت منذ سنوات بعيدة
ما جئنا هُنا إلا إحياءاً لذكرى شُهداء رحلوا عن عالمنا وهم يُدافعون عن مبادئ أمنوا بها، مبادئ يُجمع عليها كُل إنسان سوىّ بهذا العالم، الحق فى حياة كريمة لا يشوبها إمتهان، الحق فى حرية مصونة لا ينتقص منها تقييد، الحق فى .. قبل المُغادرة يتوجب التذكير بأسماء من وقفنا لأجلهم اليوم :
- الشهيد أحمد الطوخى ، الشهيد طارق رأفت السيد، الشهيد حسن محمد قاسم !، الشهيد ...
سرمد عيناه ناحية السماء، لا تعلم هل بُعث اللمعان من بطن الأفق فُاسكن عقله عن الوعى، أم الراسل حَدقتهِ الخاصة نافثة عديد علامات الاستفهام خلال نظرة لا يعى ما ورائها من دهشة هذا الفضاء الشاسع، مَن حسن قاسم الراحل ليلة أمس ؟، ومن حسن قاسم المقتول فى ذكرى اليوم ؟

(3)

رأس الحيوان تفقد قيمتها إذا ما أضحى الخلاص منها مُريحًا
لبنى البشر، أسكتوا عويل الكلاب وأحرقوا جحور الجُرزان،
ثانيتان أو ثلاث كفيلة بجز ما بين أذنى تلك القاذورات، أفضل
ألا تلامس أجسادكم الطاهرة لحومهم النتنة، فلتسحقوهم
برصاصة أو رصاصتين

إذا أردت الإنضمام لأهل تلك المدينة الغامضة قادمًا من طبقة خفيفة الوزن فلا تسأل عن الحقوق إلا حق واحد .. حق الحياة!
من بين بوابة أقل ضخامة من بوابة النبلاء أذن الجنود له بـالمرور إلى مصلحة الوافدين الجُدد .. تحدث عن مهاراته فارتأت لجنة التقييم دفعه إلى قطاع تمجير النخبة فرع الإرشاد، راق للفتى هذا القبول الحاسم صراعه الداخلى بين ملاك الخير وشيطان الشر، أبرم عقد حفظ الحياة واضعًا أعمار ذويه هاوية الإخفاق كما ينص أحد البنود، ثم جُردّ من ثيابه وطُبع وشم الخِلود المؤقت !

****

اعتاد المُعذبون عقب كل اختبار أن ينعموا بترويحة إلى إحدى السينمات أو المطاعم الشهيرة، رفض حسن الاحتفال بالخارج هذه المرة وأصّر على حفلة مترلية هادئة، ما الصيدلة إلا مُسلسل من الاختبارات يتخلله بعض أيام الدراسة .. لذا تكثر الاحتفالات !
- هو مفيش حسن قاسم غيرك فى البلد كلها ؟، إيه المشكلة يعنى إن اسم أحد المُتوفين من 20 سنة حسن محمد قاسم ! .. (مُستهجناً فزع صديقه)
- يا باسم الاسم مر قدامى كذا مرة، فى دنيا الأحلام و أرض الواقع، تشابه الأسم مش عشوائى، رسالته ليا مش من قبيل الصدفة، أنا طالع من الامتحان مش شايف قدامى، رغم كده حضرت، الهاتف ده عاوزنى اسمع الاسم تانى بعد ما أهملته

– كلام حسن ليه وجاهته يا باسم، حط كل حاجـــه فى حجمهـــا الطبيعى، لا نهول من الموضوع ولا نتغاضى عنه .. (مُلطفاً حـــرارة الأجواء، تدخل حازم صبرى، الصديق القادم إلى بيت حسن بصحبة باسم بعد مُهاتفته)

حازم صبرى .. فتىً معدوم الأعصاب، يَعِدُها زِنَة زائدة لا حاجة له بها فيدعها آلة التبريد، قادم من أسرة مُنهكة الحال المادى، يُعانى مـــن مُتلازمة السخط ويُناطح الطيور الجارحة لصناعة ذاته
لا يمضغ باسم هذا الأسلوب، أزاح ماسكُ العصا من المنتصف عـــن التغول فى منطقة رمادية يبغضها طالباً خطوات التعامل
– خلينا ندور على حسن محمد قاسم !
– ما هو قاعد معانا بشحمه ولحمه يا عم العبقـــرى .. (مُتـــهكمًا أجاب باسم)
– انت راحل بتاع امتيازات يا باسم (رادًا تهكمه) .. المقصد إننـــا نبحث عن شخصية حسن محمد قاسم اللى كلـــف حســـن بعمـــل غامض فى المنام، واللى اتذكر اسمه الهاردة فى وقفة إحيـــاء ذكـــرى الشُهداء، ده على افتراض إن الاتنين واحد !
تبرمّ الأخران من دور المُحقق كونان هذا، كيف يمكن التّحصل على معلومة بشأن هذه الشخصية المجهولة ؟

- بسيطة .. حسن كلم ماجد واطلب منه تفاصيل جميـــع وفيــات أحداث ميدان الشام، بما إنه أحد منظمو الذكرى، بالتأكيد يَملــك التفاصيل دى .

أغلق الهاتف بالثناء على تعاون ماجد المحمود بعد وعده بإرسال ملف يضم كافة الضحايا، ثم اعتلى وجه الشاحب منذ لحظات رسمة مُفعمة بالأمل، ها هو على مقرُبة من صديقه الراحل كما أخُبر أثناء ســفره المؤقت عن الوعى .. أن يصير أحد معارفك مفقوداً لا يعلم إنســان بشأنه شئ لهو شعور مؤلم، بينما الحديث عن تواجد جثتــه داخــل المشرحة أقل إيلاماً!

- حازم أنا حملت الملف، هتلاقى عندك ألاف الأسمــاء، كــل دول تَوفوا خلال الثورة والسنين العصيبة بعدها، افحص الجزئية الخاصــة بضحايا أحداث ميدان الشام، طلع كافة المعلومات الخاصة بحســن قاسم، الاسم، السن، العنوان، سبب الوفاة، كــل حاجــه تكــون موجوده عنه اعرفها، هوصل للمطبخ أعمل حاجة نشربها

يُثير كم الضحايا الذين قضوا نحبهم فى تلك الفترة إستياءك بعنــف ، من كافة البقاع ومُختلف الأيدلوجيات، كيف سقط هولاء جميعــاً ولماذا ؟؟ .. أى لعنة وأى غضب حل بالبلاد !، أيُحاسب بشأن كــل هذا أهل السلطة أم أهل الثورة ؟، سحق الأول حُل الخطوط الحمراء مُفاداة اهتزاز العرش، والأخير اتسم بسذاجة نادرة المثيل، هل يضرب الفأر على يدِ الذئب فى عُقر داره ثم يتوهم النجاة بفَعلته تلك !

حالة الاستياء هذه وجدت ما يفوقها، فبعودة حسن من عمله بالمطبخ، رماه حازم بقالب أسمنتي يزن عدة كيلوات أصاب عقله بخلل، لم يفعلها بيده، إنما بلسانه الذى توجه قائلاً .. أرشيف الوفيات مش موجود فيه أى شخص اسمه حسن قاسم قُتل فى أحداث ميدان الشام ولا فى أى حادث تانى !

عاود الاتصال بماجد فأخبرته تلك السيدة الممقوتة من عموم شعبنا بإنغلاق هاتفه ..

تذكر حسن كراسة حازم المعملية المنسية لديه منذ أيام عندما حضر للمبيت معه فأعطاه إياها، توسل الصديقان إليه إيداع تلك الأوهام جانباً ثم غادرا

استسلم حسن لإغراء الفِراش دون أن تقوى عيناه على إنزال الستار، يتساءل ما بطى جمجمته ولا ينطق ما بداخل فمه، ما الذى يجرى ؟ وهل الأمر المُبهم الذى يجرى يستحق عظيم اهتمام ؟ .. أيها الوغد أتبنى بأضغاث أحلام وصُدفة واردة فيلماً عبثى ! .. فتح النافذة ونظر تجاه حبات المطر القليلة المُتساقطة، ثم جمجم.. كما أننى على يقين من سماع طرق تلك القطرات الوافدة من قلب السماء، أنا أيضًا أثق جُل الثقة من طرق حروف المدعو حسن قاسم لباب أذنى، فكيف غاب أثناء البحث ؟ .. ثم غاب هو عن الإدراك ورفع الجسد بكافة أفراده الراية البيضاء لعنفوان خموله .

صباح روتيني مُمل كسره حدث فريد، لم يستطع باسم تصديق ما يراه، حسن قاسم يحمل بيده كتاباً ويرَد من أجل الإنصات لمحاضرة نظرية، رُغم مرور ما يزيد عن ساعة من عُمرها ولكن لا بأس، يكفى قدوم فخامته والجلوس ولو لبضع دقائق، حدث كهذا يستدعى تغطية إعلامية ولقاءات صحفية وحتماً لا ينبغى إغفاله عند نشرة التاسعة .

– تستاهل عليها هدية يا أبو على، المُدرج هيرقص من الفرحة يا راجل

– يا ساتر ! .. للدرجة دى سمعتى فى الحضور برَاقة، مش حابب اصدمك يا باسم، أنا جاى هرباً من التفكير فى موضوع عم حسن، واللى مش عارف هو عايش ولا ميت، وهل هو ليه وجود من الأساس ولا لا

– أنا هروح لماجد واشوف ملف الوفيات علشان اثبت لك إن مفيش حد اسمه حسن قاسم، وإن اللى سمعته ده مجرد تخيل

– تروح ليه فين ؟ .. اتمسك بليل بعد ما كلمنا

غضب باسم من هذا الخبر المُزعج وراح يتوعد صديقه ..

– الدور الجاى عليك يا حسن لو ما لميتش نفسك، اسمع كلامى مره واحده فى حياتك

– حاضر، بس بعد ما اخلص من موضوع حسن قاسم

– بقولك ايه يا صديق، أعتقد إهمال سيادتك وتكبير دماغك قايمين بالواجب بزيادة، ولولا ستر ربنا مش هتطول المقبول اللى بتعدى بيه

كل سنة، سيبك يا حسن من الموضوع ده، المشرحة مش ناقصة قُتلى، خليك تنجح وتخلص بقى، وبعدين الحسناء دارين تنتظر فارس واقعها

- والله انت رايق، انت أقريت الها عرفت ووافقت وحبت كمان .. دى ولا عبرت الرسالة !

- ما انت كلاسيك أوى يا حسن .. فى حد لسه بيبعت رسايل من أكونتات وهمية ! .. سيبك من نشفان الدماغ وحاول تفاتحها مباشرة فى الموضوع

- كله بأوانه يا باسم، المهم أنا مش قادر اعزل موضوع حسن ده عن تفكيرى

- لا هتعزله ولو تطلّب ثورة .. الأهم هو إنّ " البريك " خلص وحازم بيرن، غالبًا الدكتور بدأ شرح، يلا يا فندم، حلل المشوار اللى ضربته بكلمتين تستفاد منهم

مرت الأيام ولا يزال حسن الراحل يؤرق طالب الصيدلة، أرغمه الإعصار القادم بعد فترة يسيرة على إلقاء نظرات خاطفة، إحدى الكتب لا تنطبق أوراقها بطريقة سلِسة، يبدو أنها تُخفى بداخلها شئ ما، أخرج ورقة دخيلة وصُدم بتلك الكلمات ..

" صديقك الراحل يسكن قرية التواهى - مركز سنورس - محافظة الفيوم، إذهب إليه وتّعرف ماذا يُريد ؟ "

قذفته تلك الرسالة القاسية إلى دائرة الصراع مرة أخرى، لو لم تقتنع نفسه بوهَمية ما يظن فإن نفى وجود حسن قاسم من أرشيف الضحايا يطعن مُعتقداته فى مقتل، أمَا وقد اتكئت ورقة تحمل رسالة كهذه طى إحدى كُتبه الدراسية والتى ما كان ليُقدر لها أى استعمال الحين لولا مقيت يُدعى " الميدترم " فإن الأمر بصدد مُنعطف جديد يؤكد جديته ..

ما بين سعادته بالتيقن من سلامة قواه العقلية واستبعاد ما سيراه الكثيرون بالخلل إذا ما قُصّ عليهم، وبين رهبته من الشروع فى إقحام نفسه بثنايا المجهول تنّبه لعجيب .. مَنْ وضع الورقة ومتى ؟ ومادام المُريد إنخراطى لإنجاز مهمة غيبية يتبين من الشواهد مُغادرته الحياة، فكيف يقع التواصل ؟ أم أنّ هُناك بشرى حيّ يلعب دور المُوصلات العصبية فى نقل الإشارة من خلية لأخرى، بفرَضية صحة ذلك، أينقل من ميت ! .. لعل أحدهم يُشفق عليه ويخرج من وراء الكاميرا مُعلناً نهاية المُزاح ثقيل الوزن، ليت الأمر يصير كذلك.

(4)

لن يُزعجكم ضجيجهم بعد الأن، سارعوا لخلاص بلادنا من تلك الحثالة، إياكم والالتفات لأى روابط سبق وأن جمعتكم بهم سويًا من يُفسد رفاهية دُنياكم بصراخاته وتململه ورغبته القائمة لنهش خيراتكم لا يعدو أعز من كلب مُصاب بالسعار على رأس شارعكم، أحرقوا الكلب وأبناء الكلب قبل استلامهم شعلة التمرد من أبيهم

يُزينْ حائط مبنى أحفاد أبرويز أسماء الألاف من الضحايا المســفوكة دمائهم بيد هجير النخبة، تُمثّل تلك الأسماء فخر القطاع ومُنجزاته، أصحابها سكنوا القبور دون أن يشعر بهم أحد .. يا لبراعتهم !
بُرهة محدودة قضاها من أجل التدريب ثم صار واحد منهم، شــارك فى تنفيذ عشرات الإعدامات دون أن تزل أقدامه فى هاوية الإخفــاق .. بارع مشكوك فى ولائه !

****

أنهى معمله الأول وانطلق تجاه طُرقة تنس الطاولة مستُغلا دقائق يتيمة تفصله عن المعمل القادم، هنا أيضًا يبقى الحال مُتجمــدًا، العمــلاق رزق يُطيح بجميع المُبارزين، نصف الطاولة له، والنصف الأخر لسائر الدفعات

استوقف أحد أعضاء الفصيلة " ميم " محتكرو الميدالية الذهبية فى عدد مرات المابنس، لا يُباريهم إلا ذكور المقدمة فى الفصيلة " ألف "

– بقولك إيه يا محمود، عندكم فى الفيوم مركز اسمه سنورس ؟

– ايون يا أبو على، ده المركز اللى هيُخلد فى التاريخ بسبب إنتمائى ليه ..(مُهندماً ياقة قميصه ومُستمتعاً بما يسميه العــوام " فشــخرة كدابة ")

– بجد ! .. ده انت نزلت ليا من السما .

– انت كده هتعمل مشاكل ما بين الوالد والوالدة

– مشاكل ! ليه يعنى ؟

- أصلك بتقول نازل من السما

سّب ثِقل مُزاحه وهّم بعرض سؤاله عن التواهى ..

- ده أنا هفاجئك

- تبقى هى كمان القرية اللى تشرفت بميلاد سعادتك .

- لا لا مش للدرجه دى، انت هتطمع

- لخّص يا كتكوت، إيه اللى تعرفه عن التواهى ؟

- بتتريق علي بلدى ! .. طيب روح شوفلك كتكوت تانى يعبرك

- إحنا أسفين يا محمود بيك، هات عُرفك قصدى راسك ابوسها

- مفيش داعى، عفونا عنك .. التواهى هى القرية اللى درست فيها الثانوية العامة، أنا من بلد أصغر منها اسمها " منشية حيدر "، ولأنها بلد مسكينة على أد حالها فمفيش فيها مدرسة ثانوية، ثانوية التواهى كانت أقرب مكان ممكن أدرس فيه، قضيت فيها 3 سنين من أجمل أيام العمر، عارف يا أبو على مرة واحنا بنهرب من فوق السور، المدير ..

- إرحمنى يا محمود، مش عاوز اسمع ذكرياتك المُتلألئة .. (قاطعاً شريط الكاسيت هذا والذى لن يُكتب له توقف إذا ما انبرى)

- يا حسن صدقنى هتستمتع جدا بالحكاوى اللى هقولها، اسمع بس..

- بقولك إيه، الهارد مفيهوش مساحة تستقبل حكاوى الشاطر محمود، على كل حال شكراً لتعاونك أيها الثرثار .

- أنا صرصار يا حسن ! تصدق إنى استاهل ضرب الجزمة .

- ثرثار يعني رغاى مش صُرصار ! .. ودنك مش كايِّفة لغة عربية يا محمود .

- سيبك من ودنى، إنت بتسأل عن التواهى ليه ؟

- هقولك بس بعدين، هحتاجك كتير الفترة الجايه ما تستعجلش .

- ليه هو أنا الخدامة الفلبينية اللى بعتها لك محمد قاسم من بره !

- يخرب بيت كلامك اللى زى حجارة هرم خوفو، يلا على سكشنك يا محمود، ربنا يكرمك وتشرب إزازة الأمونيا بالغلط .

تخلّص حسن أخيراً من غزير الكلام محمود والذى ما حُبب إليه ضغط زر مُسجله لولا الاضطرار، بدأ يُرتب أفكاره المُتبعثرة لإنجاز خطوته القادمة، صار أمام دليل تحصل عليه بيُسر يقوده ناحية أرض مُبهمة نُقش عنوانها على رسالة لا يدرى مَن أين حلت ؟ .. وكأن الراقد هُنالك يستعجل قدومه، طالب نفسه الترّجل بثبات والسير صوب ما يبدو مُقدراً له غِماره، إن أصبح جللاً فقد بصمت بسعيك، وإن تكشّف عن وضاعته فقد وضعت حّداً لتلك السخافة.

لحق الرفيقان بصلاة الظهر بعد مُغادرة معمل الصيدلانيات مترورع الدسم هذا اليوم، أثناء عودته إلى ساحة الشئون مُنتظرًا فراغ محمود من معمله أخبر حسن صديقه بما يدور فى رأسه ..

- انت مجنون، أكيد مجنون !

– لسه هتجادل حتى بعد ما قلت لك على رسالة الكتاب ؟.

– بقولك إيه لو حسن اللى بتتكلم عنه ده طلع من مصباح عـــلاء الدين مش هسيبك تروح القرية دى، والموضوع ده لازم تقفله، فين عقلك وانت بتتخذ قرار عشوائي بالشكل ده !

– أنا سمعت كلامك وفعلاً حاولت، بس بعد الرسالة لازم وقفة، أنا فقدت التركيز تجاه كل شئ، لازم أفهم إيه اللى بيدور حوّليا؟

– ملعونة الرسالة وملعون صاحبها .. (يستشيط وجهه غضباً)

– اهدى يا باسم، مفيش داعى لكل التوتر ده، هما يـــومين اجـــازة الأسبوع هنزلهم مع محمود الفيوم وهحاول استفسر عـــن الأفنـــدى حسن، حتماً فى خيط هيقودنا للخلاص من الضبابية دى !

– وتفتكر لما واحد زيك غريب عن أهل البلد يـــنزل يســـأل عـــن شخص المُفترض إنه ميت من زمن فالأمر هيمر مرور الكرام !

– ما تقلقش أنا حاطط السيناريو اللى همارس بيه المُهمة دى

– اسمها هنمارس مش همارس

– مفيش داعى لتعبك يا حضرة العميد، وبعدين إنت عندك ميد ترم أخر الاسبوع، الجماعة الدحيحة لا ينبغى عليهم الاستهوان بصـــغائر الدرجات .

– لسه بدرى يا حسن، إحنا فين وأخر الأسبوع اللى جـــاى فـــين، واللى عايزك تعرفه بقى .. من بين هولاء الدحيحة مَن يخشون علـــى سلامة أصدقائهم ويحفظون جوارهم عند الخطر، ولو تسبب الجـــوار فى فقدان بعض الدرجات .

- إيه ياعم ده، احنا هنكتب موضوع تعبير ولا إيه ؟، يجب وهولاء وجوارهم وفقدان .. فاضل تكة وأبو الأسود الدؤلى يشرّف هنا .
- المهم هتقول إيه لمحمود ؟
- محلولة، أنا عضو مُنظمة حقوقية بتعمل تقرير خاص بمجموعة من الضحايا اللى توفوا فى أحداث الثورة وما تلاها بمُناسبة الذكرى الـ 20، وتغطيق هتشمل الفيوم، وبالتأكيد هشدد على أنها فرصة لزيارة معالم المحافظة
تمهل لثوانٍ ثم قال .. كلامك شكله مُقنع ولو إنى خايف .
- أناْ خايف أكتر منك .. (فوق الثغر تبدو مستهزءة وداخل نفسه لا ندرى !)

استقبل الثرثار فور خلاصه، أحاطه بالمقصد خلف سؤاله عن التواهى فرحب محمود بمطلبه ..
- الفيوم هتنور بوجودكم يا أبو على .
- منورة بأهلها يا محمود، إنت دلنا بس على موقف الميكروباص ولو تعرف عنوان فندق نترل فيه يومين
- فندق مين !! على جثتى ده يحصل وأنا موجود، حظكم حلو، أنا نازل البلد الأسبوع ده، وإقامتكم عندى إن شاء الله .
- إحنا كده هنتقل عليك، أرجوك ارفع عننا الحرج ده

- كلامك ده عيب وإحنا ناس صعايدة، أينعم نص نص، بس مــــش مشكلة، لو تسمح خلى حازم يجى معاكم الزيارة دى، من فترة وهو بيلح عليا، كل ما يشوف وشى يقولى مش هتودينا وادى الريان وبحر قارون يا محمود

- لا مفيش مانع إطلاقاً، أنا هبلغه، عموماً هو مش غريب، ده شاهد على الدوامة .

- دوامة إيه !

- أنا قلت دوامة ! .. (تصرف كـــ " عبيط " لإنقاذ ذلة لسانه)

- لا ابويا هو اللى جه قال ومشى

- خلاص يا سيدى قلت ولو إنى مش فاكر، شلالات وبحر ودوامة، عادى يعنى كلها عناصر متسقة لنفس الصورة

- ماشى ياعم المُتسق، الساعة 1 بعد الظهر يوم الخميس هســـتناكم عند شئون الطلبة، لازم نسافر بدرى قبل زحمة الطريق، وقبل ما نقع تحت إيد سواق إستغلالى يزود علينا الأجرة

(5)

نقسم بقداسة مجمع النبلاء، أن نطهر العبودية من الحرية، أن نطهر الفساد من الصلاح، أن نطهر الظلم من العدل، أن نطهر المهانة من الكرامة، نقسم على قطع رؤس الحُثالة المتمردين وحفظ رؤس الأسياد المُتسلطين

أضحى هو الأخر كغيره من خُدام المدينة تِرساً فى ألة القتل التى لا تعرف التوقف، أحس بالتورط عندما عَلم بهدف الجريمة القادمة، لكنه إحساس ضعيف أخمده دوام الإنخراط فى عالمهم، رتَّجَ همس ضميره مُبرراً قبوله بالمشاركة فى تلك الجريمة، فرصة العودة إلى الوراء فُقدت، ما لم تقبض روح الغريب سيقبضون روحه.!

****

حفنة من الدقائق استغرقتها السيارة لتوديع تكدس القاهرة اللعين، ثم استقبلت الصحراء الخالية والسماء الصافية، يجلس فى المؤخرة شُبان فى مُقتبل العُمر يبدو عليهم الحنق بعدما أصّر السائق على إيداع أربعة ركاب عوضاً عن ثلاثة فى المقعد الخلفى، أقلهم حنقًا المجاور للنافذة و الهائم على وجهه فى بحور التفكير، إلى أى قدر تقوده قدماه ؟ ..
خَجلت السماء من طيلة تغزلّهَ طوال الطريق، لم يُنقذها إلا صوت أجش أتٍ من المِقعد الأمامى ..
- حمد الله ع السلامة يا حضرات .
لفظها سائق الميكروباص طالبًا من ركّابه إيداعه النقود، هكذا يُلمّح قائد الحافلة وهكذا يفهم من يستقلها بحلول موعد الدفع، لا أعلم أكان الحال كذلك على خطوط السير الأخرى أم لا، لوهلة تشعر بأناقة هولاء، لم يطلبها صريحة إنما بمسلك غير مُباشر نادى بحقه، الويل كل الويل لو قُدر لك جدال مع أحدهم بشأن غلاء الأجرة ..

حينها لا شُكر لله على سلامة الوصول، ولا تبجيل لذاتك المُسبقة بكلمة " يا حضرة "

بعد رحلة ليست بالطويلة، وصل الأربعة إلى "منشية حيدر "، قبل أن تبتلعهم كثافة المنازل درجوا خلال لوحة ترسم طبيعة الريف الفاتنة، حيث السير فى رحاب العُشب الأخضر الزاهى، يتوسطه نخيل يتراقص جرّاء مُداعبة نسمات الهواء المُسكرة، يُظللك سَحاب فريد النقاء، ليس كالمُشبع بهموم القاهريين وضجرهم قبل مُخلفات وقودهم مانعاً الشمس المُصطلية عن بعث لهيبها، فلا تُشرق إلا رقيقة تُتمم جمال اللوحة .

أجبر حُسن المشهد مُستهام التفكير على التناسى، كأنها لحظات عابرة طوت هيج لإثلاج صدره، الفينة لا رؤس يشرُمها مواد دراسية، ولا قلوب تشتاق لمحبوب يعلم الله فقط ردة فعله إذا ما سقط القناع، قبل هذا وذاك، لا كيان يئن من مجهول مرّ حين بغتة، وصار ملموساً يُعبر عن إرادته .. لبُرهة زمنية رُسمت لوحة تغتر بجمالها، ولساعات وأيام قادمة يُعرض بدلاً منها أخرى صماء ترفض الإفصاح عمّا بجوفها .

حلّ ثلاثتهم ضيوفاً بالطابق العلوى بعيداً عن أهل الدار، كما سخر الشرثار منذ أيام سيقع فى حفرة سخريته، لا أحد سواه يتقمصّ عمل الخادمة الفليبينة، هرع لإعداد غداء الضيوف تاركاً إياهم ينعمون ببعض الاستجمام

- هكون متعاطف مع رغبتكم فى جولة سياحية، ولو انى جاى لهدف معين، بس الجمعة للتواهى، والسبت للجولة

- إيه اللى فى دماغك، هتسأل على حسن فى القرية دى إزاي ؟ ..(مُستفسراً باسم)

- محمود الأمر بالنسبة ليه بمجرد تغطية حقوقية للذكرى الـ20، أعتقد استفسارى منه عن حد بالاسم ده أمر مش مريب .. ثم صمتوا جميعاً .

- أكلة بط وحمام تعملوا بيها دماغ ألعن من دماغ بتذاكر معادلات كيميا عضوية ..(مازحاً محمود القادم من مدخل طابق بيته الثالث)

- يعنى دى حاجه حلوة ولا وحشة يا ابنى ؟

- حلوه طبعاً، لدرجة إنك مش هتفرق فى امتحان الميدترم ما بين ورقة الفارما والميكرو

- أه .. يبقى تقصد بقى إن الأكل بسمنة بلدى ودماغنا هتتقل وكده

- بالظبط يا عميد

أهمل مشغول البال مُزاح أصدقائه عن تلك الوجبة الشهية وألقى بما يدور فى خاطره ..

- سمعت عن حد اسمه حسن محمد قاسم من قرية التواهى ؟ .. (ركل حسن سؤاله صوب محمود)

- الفتى صاحب الرؤية من خلف الستار

- نعم ! .. بقولك حسن محمد قاسم
- الله يرحمه يا حسن، كان شخصية نادرة، لكن أنت بتسأل عليه ليه؟
- لا أبداً، اسمه ضمن أرشيف الضحايا اللى هشتغل عليهم
- ليه هو بالذات اللى لفت انتباهك ! .. التواهى سقط منها حوالى 12 أو 15 شخص خلال الثورة والأحداث اللى بعدها .
- أصل اسمى دافيد إلعازر
- أه .. تصدق نفس الاسم، لا مؤاخذة يا مُناصل، يلا قبل الأكل ما يبرد وبعدين ركز فى أرشيفك يا ابو على

الفتى صاحب الرؤية من خلف الستار .. ماذا قصد محمود بجملته تلك ؟ هى تحمل دلالة بيّنة على ..
وما كان لى أن أتيك إلا ببزوغ إحدى علامات السير تجاه الكارثة .. إلهى ! .. توصيف ما يُميزه من قِبل الأحياء يُطابق ما قيل هُنالك، أيتوقع قابع القبر هذا أمرًا ما خفى ؟ لم يَقل بجيئه لوقف كارثة، بل عقب بزوغ إشارة ما، أيسكت طوال عقدين من الزمن ويلهو بأحلامى الأن !
ردّ صاحب البط يدفعه ذاتياً نحو إستكمال بحثه عن شخصية غامضة تُحذر من كارثة غيبية، ألم يكن من الأفضل له تتبع ذلك المُرشد لخطواته يومها وإبلاغ الشرطة كى تُلقى القبض عليه كما فُعل بماجد؟ .. يقينًا ما كان للفتى ذو الفراسة أن يقدُم إليه، من هم خلف

غياهب السجون لا يُكلفون بمهام، حتى وإن تطفل المُنـادى حينـها وأصر المجئ، بأريحية تامة يقوى تبرير إهماله الأمر، أنـا سـجين يـا سيدى، تفقد أدمى طليق تُثقل كاهليه بشأنك هذا .

قواعد نحوية مقصوفة، تعبير لغوى مُنهار، تلهو حركات التشـكيل بعضها ببعض، فتارة تتمدد الضمة مُتخلية عن رأس تقوسها لتصـير فتح، وتارة تُرغم الفتحة على فقدان قوامها الممشوق متُخذة وضـع الإلتواء لتصير ضم، تأففت أذانهم جرّاء أداء الخطيب المتواضع للغاية، تمنوا أن تفقد الدقيقة ضميرها، لا داعى لإغلاق الستين ثانية بالتمام، حسبها خمس أو عشر ثوان، الجلوس قُرابة الساعة مُنصتًا لأحد الدُعاة الرابطين فوق المنبر بأمر السلطة يتطلب حظًا وافرًا، قلما تراه عـالم قوى البيان، وغفيرًا يكون عامل ضعيف المقام .. القـدوم المُتـأخر أرغمهم دخول مسجد صغير فى مُستهل القرية للحاق صلاة الجمعة، ليست المسافة ببعيدة بين منشية حيدر و التواهى، هـى دقـائق لا تتجاوز راحة اليد الواحدة حال إستخدام وسيلة نقل .

- ياسين محمد قاسم .. الأخ الأصغر للمرحوم حسن محمد قاسم

تلى تعريف محمود المُقتضب هذا لبشرى تواجد أمامهم حين غـرة بعد الصلاة ويكأنه سقط من السماء تعريف مُتبادل، لا يدرى حسن هل تذيل قول " الأخ الأصغر للمرحوم حسن محمد قاسم " كلمات أخرى أم لا .. عند تلك ما عاد للدهنه حاجة لإدراك تفاصيل أوفر

عن هذا الواقف نُصب عينيه، أطالب هو أم خريج ؟، إن كان طالباً فبأى حقل تعليمى تقع دراسته ؟ .. وإن كان خريجاً فبأى عمل يقوم؟، أضف أشياء أخرى تود علمها، لا ريب هى ليست أعظم قدراً لدى حسن من تلك .. " الأخ الأصغر للمرحوم حسن محمد قاسم "

- محمود كلمنى عن رغبة شخص منكم بعمل تقرير فى الذكرى الـ 20 لوفاة حسن، ممكن تفاصيل أكثر عن الموضوع ؟

- بداية أحب أشكرك على الترحيب بلقاءنا، أنا حسن محمد قاسم طالب بكلية الصيدلة وعضو بالمرصد المصرى لحقوق الإنسان، خلال الفترة الحالية بنقوم بتغطية أكبر قدر ممكن من اللقاءات مع أهالى ضحايا الأحداث المؤسفة اللى وقعت من 20 سنة

- ده شئ يسعدنا إن حسن واللى زيه حد لسه مهتم بذكراهم

- بعد استلام أسماء الضحايا اللى هشتغل عليهم واتضح وجود الغالبية فى الفيوم، طلبت مساعدة محمود لأنه ساكن نفس المنطقة الجغرافية، أنا أتمنى القُدرة على لقاء عدد كبير من الأهالى

يُظهر القروى شقيق الراحل لطافة مقبولة ..

- أنا تحت أمرك ومستعد للتعاون التام .. اتفضلوا نكمل كلامنا فى البيت .

تصرف المُتقمص دور حقوقى ببديهية تقترب من الكمال، جاهد نفسه التواقة لرمق حلقة واحدة أو حتى نصف حلقة تمد يد المُساعدة بالتأشير لعلاقة ما، كلّفه الأمر عناءاً كبيرًا، من ناحية توجّب عليه

إخراج المشهد بكفاءة تَححُب الأعين عن إدراك حقيقة تواجده بمترل صديقه الراحل، وعلى الناحية المُقابلة لابد من إستغلال الدقائق أفضل الاستغلال

تُمسك النوم عن السير إلى عينيك تقتحم الأن حياته الفانية، تحـدث إلى ذويه، تحسس موضع غيبته المؤقتة أثناء معيشه قبل أن يُكتب لـه غيبة أبدية، دقق النظر فى ملابسه، هاتفه، كتبه، حاسوبه، هى فرصة لن يُكتب لها التكرار، التجول بأروقة بيت شاغلك يصـعب كـثيراً خلق مبرر لدخوله مرة أخرى

هاتفت العجوز القابعة وسط دارها الضـيوف لإحتسـاء شـراب الضيافة .. " أم الحَسن "... سيدة تحمل من الوفـاء الجّـم لبُنيهّـا المُهاجر رفقتها دون رجعة ما يُثير الاندهاش، ويكأنها تُصارع النسيان وتأبى الخضوع له، منذ هجرته والغرفة تحتفظ بحيويتها، إذا ما وطأت قدماك هذا البيت دون أن يُخبرك أحدهم بوفاة صاحب الغرفـة لا ريب ستعتقد بمّحياه، حقير كافة التفاصيل قبل عظيمهـا مُتشـبث بوضعيته، يعود فضل ذلك إلى تلك النازف قلبها حتى الحين بعـدما جفت ينابيع دموعها، حسبها التّشبع بتلك الأشياء الجامدة المُرتبطـة بأيام عبوره وتكليف لسانها بديمومة الدعاء له طالبة المغفرة والرحمـة من الله

غادر الجميع الغرفة بعد تمام التقاط بعض الصور ضـرورة التقريـر المّزعم إعداده، إلا واحد .... !!

أمام ترعة ريفية هادئة فى طريق العودة إلى " منشية حيدر " وقف الثلاثة ينعمون بالسكينة، بينما استئذن المُضيف السَبق إلى الدار لتحضير العشاء ، أحسّ بخيبة الأمل بعد العودة من منزل الراحل حاملاً خُفى حُنين .. تنّبه لِفَعلة باسم فعاتبه

- ليه أخرت فى الغرفة ؟ .. كنت هتتسبب فى إحراج لينا مع أهل البيت .

- اعرف المُبرر الأول قبل ما تتنرفز، حسن لو حابب توصل لحاجه فى الموضوع ده لازم تشرك أهل الشأن .

- تقصد مين يا باسم ؟

- إحنا وصلنا لأقرب نقطة تخص حسن اللى مات من 20 سنة، بس للأسف رجعنا ايد ورا وايد قدام. عارف إن الأمر مُريب لدرجة تستحق السرية، بس بدون مساعدة محمود وياسين مش هنقدر نحقق أى تقدم

- أنا متفق مع باسم فى الكلام ده .. (داعمًا حازم لقول باسم)

- ليه بتقترح تدخلهم دلوقتى ؟

- كان عندى أمل فى جملة " داخل ردائى الأبيض تعرف كل شئ " .. يمكن تفكيرى سطحى وساذج وده اللى اكتشفته فعلا، استغليت حالة الهرج الموجودة أثناء التصوير وفتحت الدولاب، فتشت ملابسه الشخصية وبشكل خاص اللى لونها أبيض على أمل وجود علاقة، وللأسف فشلت فى الحصول على أى رابط، واضح أن الحكاية أعمق من كده .

– بس انت بُحثت فى لفت الانتباه لنص الرسـالة، إزاى بنبحث بالعشوائية دى !! .. لازم نحلل كل كلمة فيها .
– الجملة الأهم يا حسن واضحة، يقصد إيه بـ " الرداء الأبيض " ؟ .. تفسيرى المُباشر ليها ثبت خطأه
– تفسيرك المباشر صحيح يا باسم، بس مستحيل نفسك تدلك عليه، لو فحوى الرسالة أمر عظيم زى ما بتحكى حروفها، هتتدارى عن عيون العوام، لحد ما يجى الوقت المناسب ويبدأ صاحبها فى تحريك الخيوط، حركات ما تُرهقش المُوكل ليه التنفيذ .
– حازم ارحمنا من أسلوبك ده، يا ابنى اتكلم زى خلق الله، انـزل بالترجمة يا سيدى .
– أنا متردد فى طرح اللى عندى لأنه مُروع، بس للأسف عاجز عن إيجاد بديل نتحرك فيه ولو وهمًا .
ويكأن مُحيط تداولهم لهفه لهيب قَدِم من جهنم، اطمئنوا يا سـادة الوضع على ما يرام، إنها فقط ألسنة غضب هَبت من وجـه حسن المُتأهب لحديث صديقه المُماطل .. انطق يا مُقرف .
– بعد ما انطق، هتقول يا ريتك ما نطقت، تفكير باسم كان مقبول، ويا ريت وجد أى حاجة تبعدنا عن البحث فى أخر قطعة ملابس يروح ليها تفكيرنا، ده لو كان فعلا مقصود بالرداء رداء من غير مراوغة، يؤسفنى أبلغكم بتوقعى، مفتاح الحكاية فى كفن حسن !

قتلهم الصمت .. !!

(6)

يقتلع الرعب فؤاده، لا يشتم إلا رائحة الموت، وما العجب فى ذلك !، أوليست قداماه تطأ بيت الموتى ! .. جميع ذلك تقوى تمريره بقلب يخفق رُعباً دون أن يسَتسلم لسكتة مُباغتة ، أما وأن يستيقظ أحدهم من ميتته ويضع يده أعلى كتفك مُتسائلاً ... ماذا تفعل فى قبرى ؟ .. فهذا شأن أخر !

تفقّد القائد الأرفع لقطاع تهجير النخبة أخرَ البُرد الإلكترونية، أثـــار حفيظته البريد القادم من منطقة التواهى مُعلنًا فشل عملية الاغتيـــال! لن يرحم أصحاب الإخفاق مُوردى جبينه هذه السُبّة، إذًا يترقـــب أهل المدينة بجزرة مُشوقة كتلك الأتية من حين بعيد إلى أخر .. نعـــم يستمتعون ويهنئون ما دامت الذبائح دون أقرانهم !

حَمل رئيس السكرتارية ملف متابعة جميع القطاعات إلى رأس مجمع النبلاء، يرافقه القائد الأرفع لتهجير النخبة الأمل حفظ ماء وجهـــه بعد هذا الإخفاق

- إيه أخبار إحصائيات " تهجير النخبة " للشهر ده ؟
- على مستوى جيد يا فندم، التفاصيل موجودة ضمن جدول المتابعة

- الأعداد فى زيادة ولا ثابته ؟
- فى زيادة .. لكن
- لكن إيه ؟
- الأصوات بدأت تعلى، والسوشيال ميديا والمنظمـــات الحقوقيـــة مركزة مع إختفاء العيال
- حد شامم حاجه ولا مُجرد كلام
- مُجرد كلام

أمر سكرتيره نقل توصيته بفتح مُلـــهيات الهجـــرة غـــير الشـــرعية والإنضمام للتنظيمات الإرهابية، تجارة الأعضـــاء البشـــرية وتجنيـــد

المنظمات المشبوهة إلى القائد الأرفع لقطاع التطويع، لا مانع من لغو ألسنة القطاع عن هرب البعضُ إلى كوكب المريخ لتبرير عمليات الاختفاء المتكرر ! .. الحفاظ على تمام المَهام بسرية مُتناهية ضرورة لا تفريط فيها، لن يُسمح بخيبة أحلامهم بعد هذه السنوات

فحص ملف المتابعة فحصًا سريعًا ، قطاع الهندسيات يقوم بعمله على أفضل الأوجه، تصميمات الغيتوات مُحكمة الإحاطة، لا مجال لهرب فأر واحد .. قطاع التطويع يُقدم إبهاراً فى سَوق الإقناع .. قطاع تهجير النخبة يبتكر فنون خلاص فريدة كعادته منذ زمن .. ثم فجأة ارتفعت حرارة وجه البدين، أطبق فكَيه بعنف يكاد تختلف عليه أسنانه، رمق الواقف أمامه بعدستين توشكان الانفجار صاخبًا

– كلهم ودعّوا ولا فى حد مستنى

– الحفيد المُخفق سافر، والباقى فى الطريق

– الخسيس اللى كتب الورقة ما ترحموش

– ساعات وهيكون تحت إيدينا

– الفاشل جاى من ضهر فاشل، والفاشل هينتج لمجتمعنا عيال فاشلة، والقُطر الجديد مفيش فيه مكان لفاشل .. طبق القانون .

– حالًا يُنفذ سعادتك

أبَى حسن العودة وأصّر على قدوم محمود أولًا لحسم أمر التواهى هذه الليلة ثم ليتناولوا عشائهم مُطمئنى البال، استُدعى شقيق الراحل تارة أخرى دون خداع هذه المرة

سرد حسن تفاصيل الوقائع كاملة أمام الغريبين عن حقيقتها، أصابهما الانبهار حينًا والشك حين أخر، سُئل ياسين الأشد ارتيابًا عـــن أى معرفة تخص ما يُلمّ بحسن أو ما شابه فنفى، أما محمود المُتـــيقن مـــن صدق صاحبه القاهرى فبادر بطمئنة صديقه الريفى، بعـــد مـــرور ساعات جرى خلالها قص وتجاذب حديث، ختم قائلا ..

- أنا بعتذر عن عملية الخداع اللـــى تمـــت، أرجـــوكم تتفهمـــوا اضطرارى لصناعة الأمر بالشكل ده، لكن ده ما ينفيش اهتمـــامى و تعاطفى مع حق كل إنسان طاله ظلم فى البلد

- حصل خير، إزاى اقدر اساعدك ؟

- أنا عايز ادخل مقبرة حسن .

سئم ياسين فكرته الطائشة بينما استمر حسن فى الضغط عليه ..

- أنا عارف إنه جنان .. لكن أرجوك دى أخر فرصة

- اللى بتطلبه ده شئ صعب !

- معاك حق، بس مفيش حل تانى .

فكر مليًا مُستثقلًا خطوة كهذه، تكشّف تلك الفَعلة لن يمر برعونـــة، قرر بعد عناء إمعان تقديم يد العون، لرُبما علق فى نفسه رغبة للإحاطة بهذا المجهول، مجهول يُمسك أخاه وحده بطرف غطاءه

"الواحدة والنصف بعد منتصف الليل .. الأول من ديسمبر 2031"

- اتفضل المفتاح، أرجوك ضرورى محدش يحس بيك، الوسط المحيط بالمقابر فيه تجمع سكانى قليل جدا، لكن احذر الفلاحين، عدد منهم

بيمر لحد صلاة الفجر من الطريق الموازى، بيسقوا الأرض فى الوقت ده .

ناهَض باسم طيش حسن بعد رؤية المقابر على بُعد أمتار فصَـرخهم مُرتعبًا ..

– أنا ضد اللى إحنا بنعمله، طلع الموضوع من دماغك يـا حسـن وكفايه لحد كده .. ثم استدار ناحية حازم غير المكتـرث لرائحـة الموتى صائحاً فى وجه

– انت المسئول عن الموقف المشين ده، إزاى تقترح نيجى لحد هنـا برجلينا ! لو طال أى شخص مننا أى ضرر مش هرحمك يا حازم .

سارع حسن بدفع باسم بعيدا، فما هى إلا ثوانٍ معدودة تفصله عن تهور يوشك أن يُنزل بحازم لكمة تُفسد علاقتهما سويًا، هدّأ الثلاثـة من روعه، أما حازم فتفهم حال الريبة المخيمة علي صاحبه، ثم تمـتم ... يا ريتنى ما نطقت .

– أنا اللى هفتح القبر وادور فى الكفن .. (أطلقها محمود دون مُبالة)

– كل الرسايل من الواقع والخيال حضرت ليا أنا، الخطاب موجّه يا محمود، المُغامرة مش سهل تكرارها، طالما طلبنى يبقى هروح ومـش هبعت بديل، مفيش فرصة للتجريب .

– على الأقل لازم حد مننا يروح معاك يا حسن .

لم ترُق لياسين ..

– مفيش داعى يا محمود، نسبة جذب الانتباه من شخص واحد أقل من شخصين، إحنا هنستنى عند ناصية المسجد لحد ما يرجع بالسلامة

ان شاء الله، ركز معايا يا حسن .. المقابر مُرتبة فى شكل حـــارات عددهم 50 ، الحارة رقم25 فيها ما يقربْ من 30 عـــين، مقـــبرة حسن رقم 5 ، اقطع الكيس الموجود حول القفل وافتح، الكيس ده معاك بعد ما تخلص لازم ترجع الأمور لشكلها الطبيعـــى، حـــارس المدافن بيمر كل فترة ومش لازم يحس بشئ غريب، بـــودى أقـــوم بالمهمة وأكون بديل عنك، حتى ولو لا قدر الله حصل مشكلة أقدر ابرر تصرفى، احنا قريبين منك، أى صعوبة تواجهك كلمنى .. ربنـــا معاك .

يقف القمر وحيداً فى رحاب الفضاء الشاسع دون مُصاحبة بنيه مـــن النجوم، عدة أشجار تحتضن الواحدة منها مجموعة مـــن الحـــارات، وكأن أهل القبور يفوزون بظلها حال لكمتهم حـــرارة الشـــمس المُلتهبة، يبدو السكون مُسيطرًا على عامة الأجواء، الأرجح هم أيضاً يخلدون للنوم ليلًا

يُفسد راحة العظام فقط ذويهم من مُلاك الأرواح المارين بين الساعة والأخرى، أضف إلى ذلك صفير البرمائيات المُهّـــل مـــن الحقـــول والمصارف المائية .. تقع تلك الضوضاء أطراف مدينتهم، فهل يُسمح لفتىً عشرينى دهس المركز ودق رؤس حضرات الأموات ومنهم من يكبره بمئات الأعوام دون سابق إذن ؟

تضاربت المشاعر طى فؤاده، صار كقطعة مُعجنات تحوى رهبـــة و إستثارة وارتياح، يتخطى الحارات واحدة تلو الواحـــدة، يُمســـك بإحدى يديه مصباح إضاءة وبالأخرى مفتاح خلاصه، هى عشرات

الثوان استغرقتها قداماه ليرمق الرقم 25 مرسوماً فوق سطح قطعة صفيح بالية .. تعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق .. منذ سنوات لم يلجأ لدعاء كهذا، أجل .. فبمضى العمر تحرق ذاكرتنا عديد أشياء تلقيناها عند الصغر .. استدار يميناً وترّجل بخطوات محدودة، سلّط ضوء مصباحه ناحية العين رقم 5

" هنا يرقد الدكتور حسن محمد قاسم، المُتوفى فى الأول من ديسمبر 2031، نسألكم الدعاء " !

أحس بتخثر قطرات الفزع فى دمه، تعطل عقله، سارع بشكل هيستيرى ينزع رداء القفل .. رُغم اضطرابه تنبه لصوت أنثوى يُغرد أجبره على التوارى، يقدم مُشوشًا، شيئًا فشيئًا يُضحى أكثر وضوحًا أى أنثى تلك التى تحملها أربع ؟ .. عادت رئتاه تعملان بعد توقفهما لبضعة لحظات، يا لراحة بال هذا الفلاح !، يمتطى حماره مُنتشيًا بأهازيج السيدة فيروز المُغردة من راديو مُتهالك، يُدندن بحنجرته الوقحة خلفها مُفسدًا طربها، لا أدرى عِلام كل هذا الصبر! أليس من بينهم جثة باسلة تخرج لهذا الوغد فتصفّعه؟

بعد مروره، عاد حسن لإستكمال عمله، أجهده صدأ القفل، كُتب له النجاح ورحبت المقبرة بقدومه، حنى قامته الفارعة كى يستطيع عبور باب العين المنتهية قمته عند خصره، ما أن دس رأسه حتى باغت أنفه صُنان الموت، مُتفرد لا تُشابهه رائحة أخرى

صريخ الأدرينالين فى عروقه لم يقع جراء رؤيته كومة الجسد المُمددة جانباً والمُغطاة بأقمشة بيضاء مُتربة، إنما أولئك الضيوف فى الجانب

الأخر، عدة جثث عارية متراكمة تزاحم بعضها البعض، أهى جثث أقاربه ؟ .. إن كانت كذلك فلما جميعها دون أكفنتها ؟ .. لرُبما أذابته التربة

قِدمْ الدفن وحداثته تتراوح من جثة لشقيقتها، منطقى أن تأكل الأرض قديم الأكفنةَ أم أنها جائعة لحد إلتهام القديم منها والجديد ! .. ليس الأمر بتلك السذاجة؛ تلك الجثث لم تُوارى التراب بشكل طبيعى، إنما لكل منها قصة تتفوه، خلف سِتارى جريمة بشعة !

ثم أحس مخلوق ما يتراقص فوق سطح القبر .. !

(7)

سكب مُلثم يقف بالخلف سائلاً لزجاً أذاب تصنيف أجهزة جسده، إذابة يستحيل معها الفصل بين هيكل عضلي وهيكل عظمي، يستحيل معها القول هذا جزء من الأطراف وهذا جزء من الرأس، تلك الآلة بكل تفاصيلها المعقدة والمصنوعة من قِبل خالق الكون فقدت خريطة تشريحها وأضحت كومة رماد مُتجانس، لم يصمد منها شئ أمام جبروت هذا السائل يصلح للدفن !

ما عاد لأهل المدينة حديث سوى الهمس بإخفاق القطاع، يتمتمون بها في الخفاء خشية سماع أحدهم فيُصليهم اِغتياظ يتلظّى، أوليس رجال تهجير النخبة المثل المُحتذى به في الشجاعة والإقدام لسائر القطاعات !

- لقيتوا الواد ولا لسه ؟

- لسه سيادتك، لكن اطمن جميع مخارج البلد تحت الرقابة، والعيون في الداخل ما لهاش حصر

- الواد ده لو فلت وطلع عمل دوشة هيجرنا لفرعيات مش وقتها

- يا فندم إحنا أكبر من أمر تافه زي الولد ده .

- أكبر فعلًا .. إنما في مرحلة حساسة زي اللي داخلين عليها، التافه ده ممكن يتسبب لنا في صداع، فتحتوا المقبرة اللي اتخطف فيها ؟

- فتحناها يا فندم ومفيش أي أثر ليه

- مين ده اللي بيلاعبنا ؟

- سيادتك بالتأكيد حدث عابر، حد شم خبر وبيحاول ينقذ الولد من إيدينا، الأمر لا يرقى لدرجة وجود جهة مُنظمة واقفه وراه .

- عاقبت رجالتك ؟

- بالفعل سيادتك، مش فاضل غير الخاين، عقابه قدام أهل المدينة كلهم علشان يكون عبرة

- الواقعة دي ضربت كفاءة القطاع في مقتل

- كبوة جواد يا فندم

- لو فى أخطاء مُشابهة هددت سلامة المجمع حصلت تانى هتـــروح فيها رقبتك، رتب أوراقك وخلص القصة دى، دوركم مصـــيرى فى الخطوة الختامية، وما يشغلنيش الواد ده يكون بـــين إيـــدينا، المهـــم مايظهرش ولا ينطق، يفضل مُختفى، ولو ظهر تعدموه .

****

- أنا بدأت اقلق، حسن اتأخر
- خليك عندك صبر يا باسم، أنا بلغته لو حصل مشكلة يكلمنى
- مش جايز هو نفسه يكون فى مشكلة، دى مقابر يا ياسين
- انت بتخاف من العفاريت .. (قذفها جازم مُستهجنًا توتر باسم)
- اخرس، إنت سبب الورطة دى

أشار محمود بيده كمن يطلب التوقف عن الحديث، طرقعـــة أقـــدام تضرب من الخلف، ينتظر الأربعة أمام ناصية المسجد ذو البـــابين، يقودك الأول إلى ساحة الصلاة مباشرة، أمـــا الثـــانى فيُرشـــدك إلى دورات المياه ويضم بجانبها غرفة صغيرة للصلاة أيضًا، مساجد قروية بهذا التصميم على الأرجح يُترك بابها الثانى مفتوحًـــا علـــى مـــدار الساعة، تقضى حاجة المارين إذا ما لجئوا إليها، أوأولئك المتـــأخرون عن فريضة العِشاء .

يسبق طرقعة الأقدام سُعال يُوحى بمعاناة صاحبه من إلتهاب مـــزمن لتفرعاته الرئوية، حضور الرجل صار أسرع من رغبتهم فى التخفى، أدمى يغرق فى ملابسه من منبت رأسه لأخمص قدمه، مضغوط القامة

قصير الأطراف، لوهلة تعتقد بتناول أمه عقار " الثاليدوميد " أثنـــاء فترة حملها فوضعت مولودًا مُشوهًا بداء الـــ " فوكوميليا " .. كاسراً حالة الارتياب بادر القصير

– مستنين حد هنا يا ولاد

– أه .. لا .. إحنا كنا ماشين من جنب المسجد فقولنا ندخل نصلى العشا .. أجاب ياسين فاشلًا فى إخفاء توجسه

– ربنا يتقبل يا ابنى، خلصوا بسرعة وروحوا بيوتكم الدنيا مـــابقتش أمان

– بتقول ليه كده يا عم الحج ؟

– مفيش يا ابنى، أنا هنا من 30 سنة والدنيا طول عمرها أمان، انما السنين الاخيرة ضاع الامان .

– هنا من 30 سنة بتعمل إيه ؟ .. (تساءل حازم بأسلوب ينـــتقص الأدب)

– محسوبك عم سميح التُربى

انطلقت شهقة تتقيأ ما فى صدر صاحبها من ذعر، حضـــرت مـــن المتوتر دائما، الخائف دائما، باسم عصمت .

– انت خفت يا ابنى !، ما تقلقش أنا راجل على باب الله .

صمت حازم وتداول البقية العديد من الاستفسارات ..

– بقولك إيه ياعم سميح، بتطلب مننا نروح ليه بسرعة ؟

– اللى تجهله ويبعد عنك ضرره احسن من اللى تعرفـــه ويصـــيبك ضرره .

- واللى عايز يعرف المجهول ويصيبه ضرره يروح فين ؟

- انتو أربع شباب زى الورد لسه مجيتكم هنا بدرى عليها ربنا يطول فى أعماركم، بس ولاد الحرام ممكن يخلوها بدرى لو حد منكم عرف المجهول .

- انت مش عايز تتكلم ليه ؟ .. ولاد الحرام دول جن و عفاريت خايف يأذوك .

- ما تصدقش الحكاوى دى يا ابنى، لا الأموات ولا الجان بيجى من ناحيتهم حاجه وحشه ، كل الوحش من البشر .

- بس واضح انك عارف ناس بترتكب أفعال مُشينة ما وساكت عنهم، مش خايف من ربنا يحاسبك على سكوتك ؟

- لو الأذى هيصيبنى لوحدى هتكلم .. مراتى وولادى تحت رحمتهم، ومصدر رزقى بايديهم .

- الأرزاق بيد الله ياعم سميح .

- ونعم بالله يا ابنى، أنا بقيلى اكتر من 10 سنين ساكت، هتكلم دلوقتى، فاتنى القطر من زمان، واللى يركع مره هيركع مية .

- ربنا غفور رحيم ياعم سميح .. إنك تساعد فى وقف الغلط أهون مية مره من إنك تقابل ربنا وانت شايفه وراضى بحدوثه .

- والله يا ابنى ما راضى بيه لكن غصب عنى، الله يسامحكم يا ولاد فتحتوا جراح سنين، انتوا لسه صغيرين والعمر كله ليكم، لانى



خايف عليكم زى ولادى، لازم تمشوا بسرعة، الليلة دى من الليالى المشئومة، بالإذن انا .

أحّم سميح عدة أمتار ثم التفت ناحية الشباب الأربع شاردو الـذهن مُناديا إياهم ..

– لو قابلكم فى الطريق شاب زيكم كده لسه ماشى على رجليـه، خدوه فى ايديكم، بلغوّه إن اللى جاى ليه مفيهوش غير كـل شـر، هتعرفوه، ملامح وشه فاضحة باله المشغولٍ، ربنا يسترها على الغلابة

لم يعد هنالك ذرة من شك أن هذا التحذير تجاوز أوانه، لن يلتقـى هولاء بأحد، المُحتمل لقاءه دُفع بإيديهم إلى الهلاك وفقا لرواية سميح .. ما الذى حّل بخامسهم !

جُن جنون باسم، انطلق صوب المقابر قاصدًا الحارة 25، اتبعه كـل من ياسين ومحمود، بينما انقض حازم على سميح التربى كنمر يُمـزق فريسته، قبض على زمام رقبته مُهدداً إياه بسفك دمه قبل أن يسفكه " ولاد الحرام " المُزعمين

وصل الوجِلون إلى موقع رفيقهم، ولكن لا تغيير طارئ على العـين رقم 5، لوحة التعريف بالترِيل كما هى منذ عقدين

" هنا يرقد الدكتور حسن محمد قاسم، المُتوفى فى الأول من ديسمبر 2011، نسألكم الدعاء " .. وأيضًا لا أثر لحسن !

تحسس الثلاثة مُحيط العين، يتحققون ما قبْل الحـارة ومـا يليهـا، يُداعبهم أمل ضلاله الطريق، يُمنّون النفس برفق الحظ، ليت حسـن

يُكتب له النجاة من تلك الأهوال المُتحدث عنها سميح، لا يعلمــون ماهي ؟، لكنها تبدو شنيعة، مَن أعطوا سميح الترابي وعظ ديني عــن جُرم الصمت أمام خطيئة أصبحوا بعد دقائق لا يعبــأون بوقوعهــا شريطة نأيها عن صاحبهم

مزّق حازم المُتنبّه لورقة يُثقل بطنها حجر صخرى ما يُوهمــون بــه أنفسهم من مُبتغى، أمسك الورقة وشرع قراءة نصها

" من يفتح باب الجحيم يلحفه اللهيب، عودوا من حيث أتيــتم، لا عوز لنا بأحدكم، واسألوا لخامسكم الرحمة والغفران "

حوى القطاع السفلى من الورقة عبارة أخرى تُوجت بـــ(تحذير):

" مَن يُقدم منكم على ذكر الأمر أو تتبعه، فليسأل أبويه الترحم على جثمانه، لا لذاته فحسب، بل لأربعتكم "

مصائب كتلك يفقد رهنها الرجال جَلدهم، يتحسرون ويتبــاكون ويُولولون، قُبيل دقائق كان بينهم، والأن قتيل يحذر عليهم إقتفاء أثر جثته وإلا صاروا قتلى لا قتيل واحد، وفقًا لرزق الله يُقســم الصبــر والسلوان، فهذا ينهار كُلية أمام قسوة الكارثة، وهذا يتحلى بقليــل من الثبات رابطًا على قلبه، وأخر بين هذا وذاك، استغرق بضع ثوان ليُدرك حقيقة ما يحياه، جثا على ركبتيه وأذن لغــدده الدمعيــة رواء مسكن صديقه الجديد، يبكى كطفل أمسك النار بأصابعه، لا .. بل يصرخ كأم سحق صغيرها قائد عربة نُصب أعيُنها، لا .. بل ينــوح كزوجة لا يُجيب سندها طريح الفراش بعدما فاجئته جلطة قلبيــة،

لا.. بل يتفرّد بحالة من القهر والألم لا يُرادفها شبيه، حالـــة تخـــتص برفيقين يُدعيان .. باسم وحسن .

عاد السيد عصمت من غيبته بعد رحلة عمله التقليدية الشاقة ليجـــد ولده فى حال مُتغير

– من وقت ما رجع من رحلة الفيوم وهو ما بيتكلمش وقافل علـــى نفسه الاوضه

– يمكن زعلان مع اصحابه

– زعل إيه ده اللى يخليه لا بياكل ولا بيشرب ولا بيتكلم !

– جربى تكلمى حسن زميله على الموبايل

– رقمه خارج الخدمة، شكله غيره

– نزل الجامعة النهارده

– من أول الاسبوع مابيروحش، مع انه كان قايل عنده ميدترمات

– وانتِ إزاى ما بلغتنيش من وقت ما رجع بحالته دى ؟؟

– انت لسه راجع النهارده من الموقع، كنت هبلغك ازاى !

– لا ده وضع ما يتسكتش عليه، أنا داخل اشوفه

خطّ الدمع سبيلين على وجهه، يظهران كشط مجرّى مائى غـــزارة سيله نحتت بصمة عنفوانه، عيناه الناظرتان إلى الأعلى لا ترمشـــان، لربما يرقُب أخاه المُحلِق فى السماء، شارب غير مهذب ولحية هائشة، لا يُحرك ساكنًا من خلاياه الخارجية ولا يُسكن مُتحركًا من خلاياه

الداخلية، يئن غمًا وينفطر كمدًا، أوليسَ هو من أوصل رفيقـــه إلى حتفه بيده ؟ .. لما لم يضع حداً منذ البداية لتلك الكارثــة ؟ لمــا لم يشدد على رسغيه حائلًا بينه وبين الموت ؟، لما خضع لرغبته مختلــة المنطق فى نبش تفاصيل تعنى قتيل منذ سنوات فأضحى قتيل بجواره ؟ يرفض الإقرار ببساطة لهذا القدر، إن أمسى ما وقع دون إرادته فأى إجبار أرغمه التخلى عن جثمان صاحبه ؟، ألم يحظى بفُتــات مــن شجاعة وإقدام تدفعه لُمقاومة هولاء المجرمين ؟ مُقاومة تعُيد الجسد لا الروح، فقد سُرقت بغتة، أى عار وجُبن حّل بك ؟، أهو الإذعـــان لتهديدات حفنة من السفلة؟، أهو الخوف من الموت ؟ يا لــك مــن بائس أحمق لا تستحق الحياة .. كل ذلك يتصارع فى عميق أحشاءه.

- مالك يا باسم ؟ يا ابنى انطق احنا مش حمل سكاتك ده، كنت بتحب فى قصة حب والقطة خربشتك .. (مُداعبًا الوالد بُنيّــه الذى لم ينبس ببنت شفة و لم يتبدل حاله أمام مُزاح أبيه)
- طيب ادينى رقم حسن الجديد اكلمه استفسر منه، ماما بتقـــول إن الرقم اللى معاها خارج الخدمة .. (لم تنفك عُقدة لسانه) .. أمسك السيد عصمت هاتفه مُخرجًا الرقم، هو الأخر مُنقطع عن الخدمة !
- يا ابنى حسن زميلك واقع فى مشكلة ولا جرى ليه حاجه !

أمام إلحاح أبيه أجاب .. حسن مات ولو طلبت توضيح أكتر مــن كده، قُريب هتترحم عليّا !

(8)

أحفاد أبرويز .. يُعادل الواحد منهم كفاءة مئة مُقاتل، يملكون مهارة فائقة، فنون اغتيال نادرة، لا تستشعر حضورهم إلا حين إقتلاعهم الأرواح، أعينهم لا تفقه تمَييز البشر، يقتاتون لحم ضحاياهم بسلامة صدر مُتناهية، يرقصون فرحًا إذا ما خُبّروا أنّ هذا اللحم لحم ذويهم، يُفنون حياتهم باسم قداسة مجمع النبلاء، كونوا كأحفاد أبرويز، كونوا كأحفاد أبرويز إخلاصًا ووفاءًا، كونوا كأحفاد أبرويز لأيام معدودات، بعد سريانها فلتستعيدوا إنسانيتكم كما تشاءون

تُكبّل الأغلال خمسة مُتفاوتو الأعمار، يسيرون وسط الحشود عرايــا يسوقهم مجموعة من العماليق، يُهلل الجماهير لهذه المجــزرة المُرتقبــة بعدما أذاع قطاع التطويع داخل مدينة التأسيس الأزلى خــبر إدانــة أصحابها بالخيانة والفشل، يتدلّى من سقف المنصة خمســة كلاليــب كتلك التى يُعّلق بها الجزار ذبيحته، استقبل كل منهم كُلابّه، صــدع عجوز يرتدى زيًا أحمر مع غطاء فرائى ووشاح أسود وقلنسوة دموية بمطرقة لتصمت الجموع، تقدم قائد تهجير النخبة يســرد تفاصــيل الإتهام، ثم توجه العجوز إلى المتهم الرئيسى مُورد أهله الهلاك

– هل تُقر الإخفاق فى إتمام المهَمة الموكلة إليك من قطــاع تهجــير النخبة ؟

– نعم

– هل تُقر علم الغرباء جراء الأخطاء المُرتكبة من سميح التُربى ومنك؟

– نعم

– هل تُقر الشروع فى خيانة مواثيق مدينة التأسيس الأزلى ؟

– نعم

لن يتغير الحال كثيرًا حال الإجابة بــ لا، الجريمــة الواقعــة رفيعــة المستوى، حيث تُساق الاتهامات مُباشرة من القائد الأرفع، كمــا أنّ الفشل فى إتمامها ترك فى الخلف ثلاثة من الشُبان صاروا على درايــة بمدخل الأمر، لن يُضحى ضمان صمتهم شأنًا ميسورًا، أضــف إلى ذلك إختفاء الهدف، وخسارة أحد أحفاد أبرويز المُخفق هو أيضًا فى إتمام مهمتّه، ختم كل هذا بوقوعه بئر الخيانة، يعلو هذا وذاك بجيئــه

من طبقة مُنحطة تتزلف أقدام هولاء لحفظ حق الحياة، صـــلاحيات المُحاباة وغضاضة الطرف ليست ملك يمين غرارهم .
نعم الأولى تعنى قتله، ونعم الثانية تعنى قتل ذويه، ونعم الثالثة تعـــنى قتلة سيئة الجودة، يُبدى الراحل لا محالة بعد قليل بطولـــة مُجـــردة المضمون الحقيقي، فما قيمة التحدى وجهر الكُفر بمعتقـــدات أهـــل تلك المدينة المارقة بعد معاونتهم إقتراف جُل هذه الأثام ؟
لا شفيع لرجفة صغير يتوسل الرحمة، ولا توقير لدمعة كـــبير يرجـــو الصفح، عُلقت الجثامين الخمس مغلولة عاريـــة، وأطلـــق العمالقـــة الرصاص تجاه أربعة منها، ليُصفق الجموع فرحاً بتمزيق البارود لحـــم ذوى الخائن المُخفق

أما هو فله طقوس خاصة تكافئ ما اقترفت يداه، بدأ العملاق المُوكّل به تقطيع أجزاء جسده قطعة تلو القطعة، يطلق أهات تُدوّى سمـــاء مدينتهم، تحمل من الألم ما ينطق به المشهد دون تشبيه، يقابلها نشوة الجموع وصيحاتهم بالموت لكل خائن مُخفق، والخلـــود لفرســـان التأسيس الأزلى، قُراب ساعة كاملة أقيمت حفلة الجزارة تلك حـــتى لفظ الشاب أنفاسه الأخيرة، عند تلك اللحظة ضربت الرحمة سويداء قلب العملاق، فأصر استكمال تقطيع الجثمان رغم مغادرة الأنفـــاس كى لا يُفسد وجبة طعام هذه الزمرة من الكلاب الجائعـــة المرابطـــة أسفل منصة الإعدام بانتقاصهم الشبع !

لم تعد الكارثة قاصرة على مقتل حسن، بل لها ما بعدها، سيؤرق إستقصاء العشرات عن غيبته حاشيته من الأصدقاء

- هنقول إيه يا باسم للناس

- هنقول حسن مات، بسيطة .

- انت مجنون ! .. النقطة دى لو اتفتحت هندخل فى سين وجيم، وبعدين انت ناسى تحذيرهم ؟

- اعتقدت انك أقوى من كده، إيه يعنى نموت ! .. على الأقل نقابل حسن ونعتذرله .

- أنا أسف يا باسم، أنا بحاول اقلل حجم المُعاناة، كفاية اللى راح .

- مفيش داعى للاعتذار يا محمود، الحى ابقى من الميت زى ما بيقولوا .

كسر رنين الهاتف الحديث، ثم انكسر الهاتف ذاته جَراء سقوطه من يدِ محمود ..

- ما لك يا ابنى فى خبر سيئ لا قدر الله ولا إيه ؟

- سميح التُربى اتقتل، سميح ومراته وولاده

- مين اللى بلغك ؟

- ياسين قاسم هو اللى كان معايا على التليفون .

بدر لذهنه أمر ما، أخرج هاتفه وطالب الصادر إليه المُحادثة سرعة الإتيان

- انت عملت إيه مع سميح لما جرينا ناحية المقبرة ؟

- هددته إنى هخلص عليه لو ما نطقش وفهمنا إيـه اللـى بيـدور حوالينا .
- تهديد بس يا حازم !
- تعتقد إنى خلصت عليه فعلًا ! .. ارجع التواهى وهتلاقيه بومـب زى العفاريت اللى قاعد معاهم، قالى الحق زمايلك قبل ما يزيد عدد الضحايا لاتنين وتلاته وأربعه فاتجهت للمقبرة، وانتظرتكم لحد مـا رجعتوا عند العين، ايه اللى فكرك بالموقف ده؟
- سميح اتقتل، هو وأفراد بيته كلهم .
كعادته الباردة لم يُلق تعليقًا وتمنّعت ملامح وجهـه عـن تمخـض استنكار أو حتى الاندهاش لما جرى، فقط أردف بنبرة خفية .. الأن يُدفع الثمن .
ارتجف محمود فطالبهم سُرعة إبلاغ الجهات الأمنية، لا بد من عـائق يكف عجلة القتل تلك عن الدوران ..
- هنبلغ نقول إيه ؟
- اللى شوفناه
- انت ما شوفتش حاجه .. فين الجثة ؟ .. فين أداة الجريمة ؟ .. فين المُجرم ؟
- لكن فى ورقة مكتوبة بخط ايدهم فيها تهديد .
- للأسف حتى دى مبقتش ملكنا .
- ازاى يا حازم !!

– معنديش تفسير، كل اللى اعرفه انها اختفت من جيبى مع المحفظة أول ما نزلت من ميكروباص القاهرة، مُحرك العرايس أكثر ذكاءً من مُجرد ترك ورقة تخصه ولو أنها مُنعدمة القيمة، حتى بافتراض وجودها معانا، مش بعيد يتهمونا بالجنون ويقولوا اننا اللى كتبناها، و لو صدقونا وفشل الوصول لأى دليل يُرجح صحة كلامنا، هنشرف فى السجن بتهمة البلاغ الكاذب وإزعاج السلطات .

– والحل بعد ما قفلتها من كل اتجاه ؟

– نسكت، نسبكت زى ما طلبوا، إحنا أضعف من مُجاراة الإحترافية اللى بتتم بيها كل خطواتهم، سميح مانطقش، يدوب حذر، داسوه برجليهم .

– انت واثق من عدم أذاهم لينا ؟ .. فين الضمانة ؟

– مش واثق ولا عندى ضمانة، ننفذ مطلبهم وبس، ده الضامن الوحيد اللى ظاهر، يمكن يكون عندهم مرؤءة ويوفوا بالعهد أمام إلتزامنا بشرطهم .

عاد تلك المرة وحيداً دون إبلاغ حسن بالرحيل، دون الإطمئنان عليه أثناء ممارسة شغبه، دون الاتفاق على لقاء مُسامرة ومُدارسة، عاد مُريحًا أستاذه من التدقيق والتنقيح، ورقة الاختبار الناصعة تحفظ جمالها، تحمل فحسب جُملة ثلاثية الكلمة تُبرهن عن هوية صاحبها، سيتكلف الأمر مُضى وقت ليس باليسير كى يقدر العودة إلى الإندماج الطبيعى داخل مزيج الأيام .

هُنا يلتقط صورة لجسَن أثناء إمساكه بذاك الفأر الأبيض أنيق الفــرو داخل معمل الفارماكولوجى، وهنا صورة ثانية يُطبق خلالها عدســة عينه بعدسة الميكروسكوب، ثالثة تبدو أكثر ريبة، حيوان نحيل مُثبت الأطراف، يظهر مصلوبًا فى منتصف طبق شمعى، بجواره أدمى يعبث بأدوات تشريح، هذه أيضًا داخل معمل

يُمرر إصبعه فوق شاشة الهاتف مُتخطيًا صورة تلو الصورة، تنفــرج شفتاه بغتة، يتبعها قطرات مسكوبة، لكل منها موقف يطوى ذكرى مَتينة الإرتباط، بات بين ليلة وضُحاها يَفتقد نصفها الأخر، فُقدانِ لا يحتمل اللُقيا، قطع حالته المرثي لها قدوم اتصال، رقم يُثير الانذهاش، لا لكون مالكه غير مُسجل بذاكرة هاتفــه الخلــوى، إنمــا لعــدم اصطفافه بشكل صحيح يُعّبر عن انتماءه لأحد الشبكات المُتعــارف عليها، تردد فى الإستجابة .. حسم الإبهام قراره أذنًا للمُتصل الــدلو بما لديه

– زعلان منك يا باسم
– ممكن اعرف من معايا
– مش مهم
– طيب وحضرتك زعلان منى ليه ؟
– هتعرف، هقدم ليك معروف الأول وبعدين العتاب
– معروف ! .. عتاب !

- ما تستعجلش على الفهم، لأنى حد لطيف قررت تجنيب السيدة مامتك فلتان الأعصاب، كمانِ مفيش داعى لنزولك فى نص الليل تدور عليها، إحنا ناس ما نحبش نتعب المُطيعين زيك

- انت بتتكلم عن إيه، ومين دى اللى أدور عليها فى نص الليل ؟

- ولو إن اللى عملته زعلنى، بس هبدأ بالحُسنى واساعدك، احتمال تنقذ شئ .. حسن الخاين استغل براءة مريم وثقتها فيه وخطفها عنده فى الشقة، والله أعلم بيعمل فيها إيه دلوقتى، الحق انقذ اختك وانتقم من صديقك المُجرم

- انت بتقول إيه يا ابن .. ألو .. ألو ..

أوقف الحافلة وانطلق صوب محطة المترو، استقل القطار مُتجهًا إلى بيت صديقه الراحل الوفى بالأمس كما شهد، الحى الخائن هذا اليوم كما هذى ذلك المتعجرف، شُحنة الوغر السارية بجسده تصعق من يصطدم به، لا يقوى على إستيعاب ما سمع، أدار المفتاح ودفع الباب، لم يُصدق ما يرى، مشهد حطم كرامته، صورة يحيا بها مُمتهنًا طوال حياته

فتاة مُجردة الثياب، يُخفى مُقدسات أنوثتها شديد الخصوصية من الملابس، مُقيدة الأطراف، مُكممة الفاه، معصوبة العينين، ما أن فتك بالعُصبة حتى وجدها بالفعل مريم، سريعًا أزال قيدها وأحضر ثيابها المُوضوعة جوارها مُساعدًا إياها فى الإرتداء، قبّل جبهتها وضمها إلى

رحاب صدره، يسّد نهر دموعها، يجتهد للتهدئة من روعها، يصطنع تمالك نفسه أمامها، شيئًا فشيئًا تقترب من السكينة ..

– اهدى يا حبيبتى، انتى بخير وانا معاكى اطمنى، قوليلى مين اللـــى عمل فيكي كده ؟

– حسن صاحبك

– انتى بتقولى إيه يا مريم !

– وصلتنى رسالة على الموبايل من رقمه بيقول فيها إنك تعبت أثنـــاء رجوعكم مع بعض من الجامعة وأغمى عليك، قـــال إنـــك فُقــت وحالتك كويسة بس طلب اعدى اخدك معايا ونروح البيت علشان ماما ماتحسش بشئ وتقلق .

– وليه ما رنتيش على موبايلى ؟

– أنا كنت مصدومة وكل هدفى اوصل اطمن عليك .

– ازاى دخلتى هنا ؟

– باب الشقة كان مفتوح، من شدة خوفى عليك دخلت بدون مـــا أرن الجرس أو اخبط على الباب .

– وبعدين يا مريم إيه اللى حصل ؟

– فجأة حد قفل الباب، بصيت ورايا لقيت حسن، قولتله فين باسم أنا قلقانه عليه، رد إنك تمام ومفيش أى مشكلة، طلبـــت اشـــوفك، لكن إعتداءه خلانى مش مصدقة اللى بيحصل، قاومت بـــس .. ثم عادت للبكاء بمرارة

– طيب خلاص، ارجوكِ يا مريم

– باسم عايزه اروح بيتنا، مشيني من هنا
– حاضر يا حبيبتي هنمشي، بس بلاش تعرفي بابا وماما أي شئ، هو القذر ده راح فين ؟
– مش عارفه يا باسم .. خرجني من هنا علشان خاطرى .
انسى الأسى باسم حقيقة موت حسن الشاهد عليها، فشرع يلعــن غدره وخياناته الفجة من قصاص مريم، حالة انفصام تامة عن كافــة الوقائع فى السالف القريب، تحقق من عدمُ إقامته بالمترل بعد فعَلتــه تلك، أغلق الباب بعنف وانطلق حاضنًا زهرته المذبوحــة، حــاول الاتصال بحسن وكالعادة منذ رحليه المشكوك فيه الحين مازال الهاتف خارج الخدمة، تنبه للرقم العجيب فجَرب الاتصال أيضًا ولكن دون جدوى .. الرقم خاطئ .
كل ما فى الأمر وفاة زميلة مريم بالفرقة الجامعية الأولى بعد صــراع قصير مع اللوكيميا .. ليطمئن الجميع، شحن واكتئاب ستداويه الأيام هكذا خلق باسم كِذبة تحجب إطلال طامــة كــبرى عــن أســرة مُحافظة، صِلته الوثيقة ببيت الدواء أسفل مترله مّكنته التحّصل على بعض الأدوية المهدئة والمنومة المُدرجة على جدول المُخدرات، منحها لمريم المُضطربة راجياً قدرهما على تحفيز ذلك الناقل العصبى المُســمى بــ " الجابا "، ليته يُسرع الخُطى نحو مُستقبلاته لــدفع " أيونــات الكلوريد " تقليص اضطراب المسكينة،

قضى ساعات برفقتها يواسيها تارة ويُمازحها تارة أخرى، بعد مُكابدة مُريعة، تركت واقعها البشع راحلة إلى دنيا النوم، علّها أقل إيلاما وأكثر رأفة .

ألم تبتلعه المقابر ؟ كيف لفظته مرة أخرى؟ .. إن عاد حقاً فلماذا أقدم على عمل فاحش كهذا ؟ مَن ذاك الهاتف ؟ وكيف عرف بإختطاف مريم ؟ .. أى جحيم هذا يُطوق عُنقي ؟ .. لربما يحمل هذا الاتصال القادم العديد من الإجابات

– طبعًا مستنى مكالمتى من بدرى يا بيسو، قولت اسيبك لحد ما المدام تهدى .

– قسمًا بالله لتشوف العذاب انت واللي وراك .

– ورايا حسن رفيق العمر، اتصرف معاه، ما اكدبش عليك كان نفسى اطول من العسل جانب، لكن حسن أصّر ياخده كله ليه .

– أنا هبيدكم، هخليكم عبرة يا شوية ..

– اهدى كده وروق خلينا ناخد وندى فى الكلام، هقولك حاجه تهديك، ما تقلقش يا سيدى، لسه القمر بنت مش مدام ولا حاجه .

– مش هتفلت بعملتك، لا انت ولا حسن الكلب .

– جميل .. جميل جداااا، انت بنفسك قولتها، حسن ده مُجرد كلب، والكلاب محدش بيدور على رمتها بعد ما تموت، جيفة قذرة، ليه شاغل بالك بيها !

– تقصد إيه بكلامك ده ؟

- اقصد المره دى شدة ودن، المره الجايه هتاخدها مدام فعلًا، ولـو نشفت دماغك هنرميها لك جثة،ولا تحب نتكفل إحنا بمراسم الدفن زى أبو على ! بالمناسبة حبايبك كتير وإيدينا طايلاهم

- انا هخليك تتمنى الموت ولا تطوله

- اسمع يا حشرة وبطل وعيد واعرف حجمك، مخلوق زيادة عـن عصمت يعرف بموت حسن أو أى تفاصيل هندمك طـول العُمـر، تخيط لسانك وتخرس

وقع باسم تحت تأثير رضوخ تام، لا يعرف بما يرد، وإن أدرك، فلا يقوى على القول ..

- التزم بنص الرسالة اللى وصلتك، أنا مش كاتبها لامى، قبل مـا اقفل المكالمة المُبهجة دى معاك، حابب اقولك إنك بنى أدم مُـنحط، يا راجل بقى حسن الشهم الجدع تصدق فيه مقلب خايب زى اللى شربته وبعد وفاته كمان !، اخص على النذالة

- أه قبل ما انسى، مريم قالتلك اللى اتملى ليها، بنـت رقيقـة فى وضعها المُحرج ده، لو اتطلب منها تقول نبى اللى عمل فيها كـده هتقول، موقف مؤلم فعلًا .. سلام يا دكتره .

يود أن يُمسك أحدهم بسياط غليظ ويجلد ظهره، .كيف سمح لنفسه تصديق ذلك الخبل ؟ .. كيف طعن أمانة خليله الوفَى ؟ .. سـنـيئون نحن البشر، نُعاشر أفرادًا أعوامًا وأعوام، رُغم دراستنا الجيدة لأحوالهم تتساهل أذاننا فى الإصغاء لما يُشينُهم، هم أحبة ليل مُنصرم والسـاعة هم أعداء نهار يحضُر.

(9)

دعك من الشعارات الناعقة، أن تُقامر على حياتك وسط الذئاب أكثر إغراءً من السير خلف الصراصير .. ستُدهش لا محالة !

ضُرب جرس الطوارئ للمرة الأولى داخل أركان المدينة، أهلّ رمـز الخلود بضياء مُرعب كما ولو أضحى بديلًا عن الشـمس، جميـع القطاعات تمرح بالخلاص من مَهامهم، الساعة ساعة الملحمة .. ساعة الخلود الأزلى لمدينة التأسيس .

****

يسير أملًا إمهال " أحفاد أبرويز " مُتسعًا من الوقت، برامج المراقبـة المُتصلة بأجهزة التنصت عن بُعد لكل خادم بمدينة التاسيس الأزلى لن تدعه يلوذ بالفرار، يُراوده بعض الشكوك حول يقينية رحيل حسن، تلك الشكوك دفعته إلى محاولة كشف حواف الحقيقة أمام ناظريـه حال عودته، المدينة تُبعد من يُخفقون، لا تكتفى بذلك، بل تقتـنص أرواحهم، أما وقد تعثر فلا فرصة للنجاة

هُنا فى تلك المدينة يُقامر الكافة ببقية أيامهم فوق الأرض، يُرهنـون دنُياهم ودُنيا ساكنو بيوتهم، الأقوياء منهم يفعلون ذلك إيماناً بدولتهم المنشودة، دولة تحقق قسم " أحفاد أبرويز"

" نقسم بقداسة مجمع النبلاء، أن نطهر العبودية من الحرية، أن نطهر الفساد من الصلاح، أن نطهر الظلم من العدل، أن نطهر المهانة من الكرامة، نقسم على قطع رؤس الحُثالة المتمردين وحفظ رؤس الأسياد المُتسلطين."

أما أولئك المُنعدمون، يتسولون حق الحياة، لا تعنيهم تلك القيم الوردية، يعتقدون أنّ السيد .. أو الباشا .. أو البيه .. هو مّن يُحيي ويُميت، فليتهم يمنّون على أجسادهم بالعيش مُنحدر أحذيتهم، وليتركوا خطف أعمارهم للجبابرة من مرض أو جوع أو إهمال .

مضى المُتقن إيقاع ضحاياه شباك الموت ببقايا خير دُفنت فى أعماق نفسه منذ زمن، تأكل قوامها بإنضواء مديد فى مدينتهم، لاندرى أيبحث عن غسيل جرائمه بالتصدق، أم يسعى لتعاطف يُساق إلى ذكراه، أيوذ إعتذارًا ضمنيًا لبشرى سبقَه أخرون إلى فراش التراب، أم يخشى حساب ذلك العالم الغيبى .. ربما لا هذا ولا ذاك، لعلها صرخة تنتقم له مُستقبلًا من قاتليه المُتأهبين لعقابه!

ضغط زر مُسجل الهاتف وبدأ الإدلاء بشهادته داخل منزل أخر قتلاه، أو لنقل بتوصيف أكثر إنصافاً، أخر من ساهم فى قتله وإن أضحى يرجو تمسكه بذيل الحياة ..

من قتل حسن قاسم ومن هم قبله ؟، لماذا تم الخلاص من سميح التُربى وذويه ؟، من يقوم بتنفيذ تلك الإعدامات ؟ أين يُغيّب مئات الأفراد من عام لأخر ؟، أحياء هم أم موتى ؟ ولماذا أيضًا بعد مرور ساعات معدودة ستعرفون خبر وفاتى بصحبة أفراد عائلتى ؟ خلال هذا التسجيل اعترف بالدور الإجرامى الذى لعبته، وأُفصح عن ..

– برافو يا فنان ..(تصفيق ساخر)

- تخيلت إنى احتمال أكون أسرع منكم

- إحنا دايما الأسرع والأقوى، تعرف إن غباءك ووقاحة سميح اضطرنى انزل إشراف على العمليات بنفسى، بعد مجهود سنين قائد تهجير النخبة يتهدد بقطع رقبته ويُرغم على متابعة ميادين العمليات بشحمه ولحمه .. رجعتني مُعيد تانى بعد ما وصلت لكرسى العمادة.

- أسف لإزعاجك وشكراً على كرم فضلك، بالتأكيد حضورك مراسم قتلى أمر يدعو للفخر

- انت خُسارة فى الموت، لكن للأسف عندك قضيتين أصعب من بعض .. الفشل والخيانة

- ما اكدبش عليك أنا مؤمن بطموح مدينة التأسيس الأزلى ظاهرياً وكافر بيه باطنيًا، توقيت طفح خيانتى لمبادئها كان وارد فى القريب العاجل .

- إحنا عارفين ده كويس علشان كده عنينا عليكم مفتحة، بس افتكر إنت والمشبوهين زيك بتيجوا لعندنا رُكّع لحفظ حياتكم و حياة أهلكم

- صحيح .. يمكن بنحسبها غلط

- الحسابات مُطلقة الصواب مع القُطر الجديد .. الحُثالة أمثالك هيضمنوا حق الحياة بدل ما يتفرموا مع بقية الصراصير .

- انتوا محتاجين الحُثالة اللى زينا فى إيه ؟، مش بعد إبادتهم هتبيدونا إحنا كمان.

تعجب القائد من غباءه البادى، لا يعرف عنه إلا شدة الذكاء ..

– مين يقوم بالأعمال الحقيرة غير طبقتكم الحقيرة، مين يموت علشان حياتنا، ويحيا علشان رفاهيتنا ؟

– أنا خدمت فى قطاع تهجير النخبة بمنتهى الجدية والإحترافية، اشمعنى العقاب يُطبّق عليا فقط :

– تؤ تؤ تؤ .. انت مننا وتسرى عليك قوانينا، عارفها ولا تحب افكرك، هفكرك

" يُعاقب كل من يُخفق فى إتمام مهمة من المهمات السرية داخل قطاع تهجير النخبة بالقتل، ويُعاقب كل من يُخفق فى إتمام مهمة من المهمات السرية داخل قطاع تهجير النخبة مضافاً الى إخفاقه علم الغرباء بالقتل وذويه " .. ما نقدرش نتجاوز القانون، ده غير إنك مُتلبس بالخيانة .

– إخفاق ! .. يبقي حسن لسه عايش !

– حدود دورك تنتهى عند تمهيد الطريق لدخول الضحية القفص، النتيجة ما تخصكش، مش هقدر انكر إنك نجحت بنسبة90 % من العملية، نفذت خطة الاغتيال بشكل دقيق، إخفاء اسم حسن قاسم من الأرشيف ووضع الرسالة فى الكتاب، استخدام محمود وإقناع حسن يروح الحارة 25 .. كلها أمور خلقت إثارة وشغف عند الضحية ووصل لحد عندنا برجليه، لكن للأسف الخطوة الأخيرة ضيعت كل الابتكار والعيال شموا خبر وبدأو يعكوا فى الكلام، ورقة التهديد كان تجويد مش مطلوب، سيب خرافات إختفاءه تاكل

عقولهم .. لعلمك، إحنا هنا بنعاقب مش من أجل الخطئ الواقع، إنما من أجل إستحالة تكراره فى المستقبل .

– تخيلت إن إرهابهم هو الحل لتشتيت الانتباه

– انت قلت لهم بكل بساطة .. فى جريمة!

– حاولت اردم حفرة النبش اللى فتحها سميح ؟

– سميح غلط، وانت كملت فى الغلط، تعرف أشكالك وأشكال سميح لا يمكن يتعالجوا من داء الحنين، الحنين اللى خلى سميح حريص على إنقاذ العيال، وخلى قذر زيك يحاول فضح أسرارنا .. عندكم ميل عرقى للعطف على الحشرات .

تقدم عملاق يُثقل جسده عضلات مُتضخمة، ألبس رأس المقبوض عليه غطاء دامس واقتاده إلى الأسفل، ثم انطلقت المركبة إلى أرض هلاكه وذويه .. أبطال المجزرة المُرتقبة !

مخلوق ما يتراقص فوق سطح القبر .. !

يتبين الأمر أشد جلالة من قصوره على رسالة فى رداء أبيض، انسحب سريعًا من العين ليصطدم بذلك المخلوق، يتقدم فى ثبات وثقة، يبدو من هيئته مُقاتل عظيم الحُظوة، ويكأنك بحضرة نفر من رجال البلاك ووتر أو الماريتز الأمريكى، خلف هذا الوحش مُلثّم يُمسك بزجاجة بُنية اللون تحوى سائل ما

وجّه المُقاتل سلاحه صوب حسن المُروّع مما يشهد، بين يقين المُفعم بالتسليح من تمام مهمّته، ويقين حسن معزول أدنى أدوات الدفاع عن النفس من حتمية قتله، نبتت أذرع تُطل من العين المجاورة، تشبثت بأقدام الفتى مُفقدة إياه التوازن ليُطرح بعنف كعقار مُتهاوٍ. مثل تلك المُباغتة جُذب الطريح بسرعة فائقة إلى الداخل وأغلق القبر .. !

ما للرصاصات أن تعود باردة دون العبث بروح أحد البشر، أطلق المُقاتل واحدة خاب هدفها جرّاء هذا التدخل غير المتوقع، ودّ الانقضاض على العين لسحق مُختبئيها إلا أن رفاق حسن صاروا أكثر اقترابًا، توجّب عجلة الانسحاب لتخفيض القدر الأكبر من الخسائر بعدما أخفقت مهمة الاغتيال، وهنا ..

سكب المُلثم الواقف خلف المُقاتل سائلاً لزجاً أذاب تصنيف أجهزة جسده، إذابة يستحيل معها الفصل بين هيكل عضلي وهيكل عظمي، يستحيل معها القول هذا جزء من الأطراف وهذا جزء من الرأس، تلك الألة بكل تفاصيلها المعقدة والمصنوعة من قِبل خالق الكون فقدت خريطة تشريحها وأضحت كومة رماد مُتجانس .. لم يصمد منها شئ أمام كبرياء هذا السائل يصلح للدفن !

ينخرط الجميع فى فِرق عَمل مهولة الكّد، لا يلتفت الواحد منهم يمينًا أو يسارًا، تستشعر القبوع داخل مؤسسة مُخابراتية أفرادها بصدد مَهمّة مصيرية، قسَمات وجوههم تتحدث بذلك، استفاق الفتى بهلال وسيم يُرحب به ..

– حمد الله على سلامتك يا حسن

– أنا فين ؟

– اطمن انت فى مكان أمن .

– فى دار الدنيا يعنى ولا دار الأخرة .

أطلق الوسيم بشاشة مُستلطفة قوله .. تحب تكون فين ؟

– والله لو بعيد عن فندق أبو لهب وعشيرته يبقى أهلا وسهلا، انما لو هترل قريب منهم فأنا بقول نستنى شويه

– لا يا حسن ما تقلقش انت بعيد عنهم .

– ممكن اتشرف بحضرتك ؟

– مصطفى الشريف .. حفيد مُنشق عن قطاع تهجير النخبة .

سرول وجهه البلاهة .. نعم !

– أسف نسيت جهلك بالأمر، هتفهم كل حاجه .. اتفضل ناخد جولة فى المُنتزه ونتكلم .

سار بجوار الحفيد كالأبله مُترقبًا الإحاطة بما يجرى ..

– بداية بعتذر عن الطريقة اللى حضرت بيها هنا .

– فى الحقيقة مش مُتذكر أوى .

– انت الوحيد اللى نجحنا فى إنقاذه .

– إنقاذى من مين ؟

– أحفاد أبرويز

– دى قبيلة من الجان ؟

– لا قبيلة من الأنس، شرهم يفوق شرّ الجان ألف مرة .
–.وهما الجماعة أحفاد براويز دول كانوا هيأذونى ليه ؟
– أبرويز يا حسن مش براويز .. أبرويز لفظ فارسى معناه مظفر أو منتصر، لقب ملوك الفرس من بنى ساسان، بيُعبر عن شدة السبطش والفتك .
– فارسى ! .. الحضارة الفارسية دى مش انتهت من الأف السنين، جدو أبرويز باعت عياله فى القرن 21 يعملوا إيه ؟
– انت مشكلة يا حسن، غالبًا مش هعرف أخد الموضوع جد قدام خفة دمك دى .
– أسف، هحاول أكون أكثر جدية، الكلام غريب بس شويه .
– ولا يهمك يا أبو على، إنت أهم شخص فى منظومة عملنا ولازم ندلعك ياعم .
– أنا ! .. أهم شخص !

صمت الوسيم أمام تعجّبه، جاذبية الحدائق أصابته بنوع من السحر، سحر أحس إشعاعه من حدائق قصر الشرقّ فى تيفولى قُرب روما، حيث صنع الكاردينال إيبوليتو ديستى الثانى تُحفة خلابة أزالت حزن زوجته حينذاك، وما تزال إلى يومنا هذا تعدم حزن أى بشرى ينعم برؤيتها

ترفع الحفيد المُنشق عن إفساد إنبهاره، أنساه الجمال أحفاد أبرويز وتتبعهم إياه، انساه ما قيل منذ دقائق عن أهمية ذاته بالنسبة لهؤلاء

القوم، أفاق من نشوته بإعلان مُرافقه الوصول، الوصول إلى أين ؟ ..
لا يعلم !
يغمر جميع المُلتفين حول حدوة الحصان كتلك التى بمجلس الأمن إبتسامة هادئة تحمل جذور القلق، يقذفونه نظرات كمن يرمق فى وجهه تكليل جُهد سنوات ..

- أهلاً بالمُنقذ .. نعته بها أكبرهم سناً كما يبدو من شيبته .
- أكون ممتن لحضراتكم لو حد تبرع وفهمنى أنا فين وليه ؟
تلت فتاة تنتصف الحضور بيانات مُقتضبة تعنى المُنقذ كما رُحب به، علقّ تلقائيًا من بنك ذاكرته ..
- انتوا أمن وطنى ...(ضحك الجميع)
- لا يا حسن مفيش هنا أمن وطنى، الأمن الوطنى فوق عندكم .
- فوق عندنا ! .. إنا توقعت فعلاً إن المكان اللطيف ده حتماً بره مصر .
- إحنا بره الدنيا كلها يا حسن مش بره مصر فقط
- آه .. آه .. آه .. أنا حاسس من الأول إن سيد قشطه اللى شوفته فى المقابر فرمنى وودعت الحياة .
- ثوانى ضئيلة جداً فصلتك عن المأساة دى بفضل براعة الدكتور حسن قاسم .
- حسن قاسم !! .. مش ده حسن .. حسن اللى ..
- آه بالفعل هو، دكتور حسن محمد قاسم، وفيات ديسمبر 2011.

- وفيات ! .. طول عمرى بسمعها مواليد، سؤال وجودى يا حضرات .. أنا عايش ولا ميت ؟

- عايش يا حسن .

- والناس اللى هنا نظامهم إيه ؟

- إحنا بالنسبة لعالمكم فى عداد الموتى، لكن عندنا عالمنا الخاص.

خيّمت كافة علامات التعجّب على وجهه، تلك الحماقة السامحة بتداخل عالمين مُتضادين يقينًا هى جزء من كابوس أفرط ثِقل كُريات دمه الحمراء، بقائه بين هولاء الموتى شذوذ عن نمط الحياة التقليدى المُفترض أن يمارسه أدمى مُندمج الجسد والروح، تخلى عن خناجر الاستفهام الطاعنة رأسه وأصبح شاغله الأوحد مُفارقة دنيا الأموات هذه ..

- عالم ما بعد الموت عالم غيبى مليان تفاصيل مجهولة، مش هسأل انتوا انس ولا جن ولا أرواح ولا .. مش هسأل إزاى بتتكلموا معايا وإزاى شايفنى وانا شايفكم، ازاى .. وازاى .. ده شأن يخصكم مش حابب اقتحمه ولو إنه مُشبع بالإثارة، سؤالى .. إيه المطلوب منى علشان ارجع لحياتى الطبيعية ؟

- إنت مش أسير عندنا يا حسن، المطلوب فقط تكون همزة الوصل ما بين عالمنا وعالمكم .

- دليفرى يعنى !
- حاجه زى كده
- ولو رفضت ؟
- هتُعيق أخر محاولة ممكن تقف فى وش الخطة " Z "

(10)

و يأتى إقرار القانون فى إطار حرص الدولة على فض النزاع بين الأطراف المُتشابكة، والسعى إلى خلق حالة من الاستقرار المرجّو، كما أنه يكفل لجميع المواطنين حرية اختيار نمط حياتهم وفقاً للمبادئ التى يرون

بدأت أحياء الإصلاح تكتظ بالبشر، تحصّلوا أخيرًا على ما يُريدون، داخل تلك الغيتوات يستطيعون تسيير أمورهم بالمبادى التى يعتنقون، كل منهم يملك حريته " ح ر " .. يرى صلاح المجتمع فى أبهى صوره " ص ل " .. يُطبّق العدل دون مُحاباة " ع د " .. الجميع يعتـــزون يعتز بكرامتهم المُصاناة " ك ر " .. يبدو وضع الـــبلاد مُتجهًـــا إلى الأفضل

****

تُرك وحيدًا فى غرفة مُتكاملة الإمكانيات، لا ريب أنـــه بحاجـــه إلى خلوة تُكسبه القليل من الهدوء .. " لا تدعهم يطمسون جميع الورود " .. عبارة نُسجت فوق الحائط المُقابل لموضع فراشه، ويكأن المُـــراد بموقعها ذلك نقش على أركان ذاكرته .. يتجول إرتباكًـــا ويجلـــس إمعانًا ويستلقى يأسًا، تململ من وحدته فأثر مغادرة غرفتـــه، عـــاد يستقبل الحدائق مرة أخرى، يبحث بين غصون أشجارها وبـــتلات أزهارها وأمواج شلالاتها عن فرار مؤقت، رمق تلك الفتاة صـــاحبة الحديث عنه تفترش العُشب مُداعبة السماء، سار نحوها يُنقبّ عـــن جليس يبُادله الحديث، عّله يعثر على حلول عديد الطلاسم ..

– أنتوا مين ؟

– إحنا شبهك وشبه بشر كتير فى العالم اللى بتحيا فيه، شـــايفينكم وعارفين كافة التفاصيل لكن عاجزين عن التواصل معاكم .

– ليه أنا بشكل خاص تم اختيارى حلقة وصل بين عالمنا وعالمكم ؟

– الحقيقة تواجدك هنا صدفة، فى مئات غيرك كان عنــــدهم نفـــس إحتمالية الترشيح للقيام بدورك فى وقف الشر المُرتقب .
– هما فين وليه اتلغى ترشيحهم ؟
– موجودين هنا، منهم اللى شغال فى قطاع التنوير أو قطاع الإرباك أو قطاع الاستكشاف وغيرها من القطاعات .. اتلغـــى ترشـــيحهم لأنهم بكل بساطة وصلوا مقابرهم جثث وبالتالى فقدوا القدرة علـــى الاتصال بعالم الأحياء
ما أن تُفصح الفتاة عن هذه الغرائب إلا ويُصاب صاحبنا بمزيد مـــن البلاهة ..
– بص يا حسن، إحنا بينا اللى تم إغتياله وبينا اللـــى مـــات موتـــه طبيعية، بيجمعنا هدف واحد بس .. تصنيع مضادات الخطة المشئومة.
– أنا مش قادر اصدق انى الناجى الوحيد وكلكم أموات !
– ليلة 31 ديسمبر قطاع تهجير النخبة نفذ 20 عملية إغتيال، 19 منهم اتقتلوا وانت بالفعل الناجى الوحيد .
يزداد مُعدل انقباضات بُطين قلبه شيئًا فشيئًا أمام ما يُصدم بـــه مـــن أهوال، كيف نجا وغرق الأخرون ؟
– مجموعة التدخل المُباغت المُكّلفة بإحضار بشرى حـــى، حـــدود قدراتها عيون مدافن حارة فى مُحيط أرض المقابر، تكـــون شـــاغرة بجثث المؤمنين بمبادئ الإصلاح، الطاقة المطلوبة للاتصـــال اللحظـــى بتتركز فى نوعية الحارات المُحتوية جثث بالمواصفات دى، زى الحارة 25 .. هنا فقط بتتلاشى الحدود ويتمكنوا من اقتحـــام عـــالمكم،

العيون بالنسبة لعالمنا إكزوسفير الغلاف الجوى والحد الفاصل ما بينا وبينكم

- إزاى نجحتوا فى إفشال مخطط تهجير النخبة لإغتيالى ؟
- دراستنا العميقة لأساليب تهجير النخبة فى اصطياد ضحاياهم بتوضح مدى البراعة والابتكار فى التنفيذ ، أخرها الحيلة المُتبعة معاك .. لحُسن حظك حضورك للعين وانت لسه حى
- ودكتور حسن قاسم .. والأحلام .. والرسالة !
- رسالة الدكتور حسن فى عالم أحلامك رسالة مُصطعنة، نومك التقيل — لا مؤاخذة يا حسن — ليلة بيات عضو منهم معاك بخلاك ما تحسش بسماعة جهاز الاستشعار البيولجى المُطور، سماعة من الفئة الرابعة الأكثر حداثة، تم توصيلها بدماغك لثوانى معدودة، جهاز مُريب قادر يشوش أحلامك ويعبث بيها بدون إرادتك، بعدها كان سهل التحكم فيك وتوجيهك .. مش بقولك قطاع بارع ومُبتكر .
- عضو منهم ! .. مين ده ؟
- هتعرف فى الوقت المناسب
- الجثث اللى شوفتها فى العين الخامسه دى جثث الـ 19 !
- لا .. دى جثث قديمه مُتفاوتة تاريخ الوفاة تم اغتيالها أيضًا، الـ 19 دُفنوا فى أماكن متفرقة ، أحفاد أبرويز القائمين بمهمام الإعدام مُنتشرين فى كل البقاع، على الأرجح بعدّ فشل عملية إغتيالك هيتخلوا عن فكرة تنفيذ الإعدامات فى المقابر .

- لصالح مين بتُرتكب كل الجرايم دى و إيه الدافع وراها ؟
- لصالح مدينة التأسيس الأزلى .
تكاثرت عليه المصطلحات، مدينة التأسيس الأزلى ! .. تهجير النخبة ! .. أحفاد أبرويز ! .. يعى أهم مجموعة من الأشـــرار دون فهـــم أدوراهم، أدركت ميسم مُعاناته فانبرت فى إفرادها
- قبل ما تسأل هجاوبك .. مدينة التأسيس الأزلى أنشئت من 13 سنة، بتضم كل الموحدين بديانة التسلط والتفريق الطبقى، تأسيسها وقع بعد إصراركم المستمر على تطبيق مباهئ المساواة والحرية كإطار حاكم للقُطر ده من الأرض، بعيدًا عن كفرهم العقائدى بمبـــادئكم، انتوا بتمثلوا صداع مزمن وتهديد مباشر لمصالحهم ورفاهيتهم .. بـــل حياتهم .. طبيعى يكون عندهم شراهة لسفك دماء الإصلاحيين .
- عصابة من القتلة يعنى !
- الأمر مُعقد عن كده، عمليات الاغتيال القـــائم عليهـــا قطـــاع تهجيرالنخبة، قطاع واحد من عدة قطاعات، بيضم عـــدة فـــروع، مُبتكرين بيضعوا خطط اغتيال غـــير متوقعـــة، مُرشـــدين بيتتبعـــوا الضحايا، أحفاد أبرويز بينفذوا مهمام الاعدام، حُراس مدافن بيخفوا الجثث .
غفل عنه ما يُمارس من نشاذ، فتساءل عن مُبررات إستهدافه ؟
- بُناءًا على الفاعلية فى توعية الجماهير ودفعهم للإيمـــان بالمبـــادئ المُضادة لما يعتنقه أهل التأسيس الأزلى بيتم الاستهداف .
- إحنا بالألاف .. ومش بنخلص !

- معاك حق، لكن خطتهم إننا نخلص، علشان كده إنت هنا .

- إنتِ وصلتِ هنا إزاى يا ..

- اسمى ميسم .. وفيات 2022

لا تعلم أوَقع فى قلبه شيئ من إعجاب أو شفقة تجاه ميسم أنطق الضيق على تعبيرات وجهه عقب كلمتها تلك " وفيات " أم يعود ذلك إلى ما خُبّر من فزع

- تعتقدى إنسان ضعيف زيي يقدر يقف فى وشهم ويمنع إغتيالات النُخبة !

- المطلوب أعظم من وقف إغتيالات النخبة ، المطلوب وقف الإبادة الجماعية والحيلولة دون تثبيت دولتهم الأزلية زى ما بيتمنوا .

أطبقَ يديه على رأسه وأخذ يطيل النظر ناحية الأسفل، لا يقوى على إدراك ما يُنبأ به، لولا معرفته المُسبقة بالإختفاء المفاجئ لعديد أناس يعبأون بقضاياه ومُعايشته ماسأة الحارة 25 لما ألقى بالاً لكل هذا ولعدّه درب من الهُراء ..

- اطمن يا حسن، دورك توصل مضادات " الخطة" المعكوف عليها سنين، و ..

اخترق الحفيد المُنشق حوارهما، أهدى إليه عبارة أحرفها حُبلى بالسرور

- فى شخص عزيز عليك حابب يشوفك

داهم خطواته لتستدعى هذا العزيز على عجل، رَمق هيئتــه، سـيراً فسيراً يجذب سجادة الأرض نحوه ومعها يُضحى أكثر إشراقاً، أعمى عقله الفرح فور تمييزه .. تحركات يسيرة للعقرب بعدها ردّت للعقل بصره .. فبكى باحتراق !

أقرت الدولة ما ارتأته خيرًا، لا إضرابات لا احتجاجات بعد اليــوم، وداعًا للتذمر وأهلًا بالرضا، مَن دفعوا من دمائهم وحُرياتهم ثمنًا مرهق سيجنون الثمار، داخل كل مدينة تواجَد حى يُلبى حاجياتهم الحياتية وفقًا لمبادئهم، المشهد الآن فوق أرض هذه الرقعة من العــالم يتخــذ وضعًا جديدًا، من يؤمنون بهذا النوع من القيم الإصلاحية، بعد طول انتظار تُغادر اللوحات الورقية والجُــدران الحجريــة والحســابات الفيسبوكية لممارستها بواقعية طى غيتوات دافئة، أما أولئك المُنفطرون على ما تركه الأباء من عقلية مُحافظة باطشة، يرفضون التحريــف وخوض غِمار العيش بمعانٍ تُشجعها عوالم دائمة التربص بنــا علــى الدوام كما يتبين لهم ..

– الواد ابن الكلب راكب دماغه ومُصر نروح نســكن فى الأحيــاء الجديدة

– بيقولوا خلاص مفيش وقف حال بعد كده، عملوا للعيال بتــاع الفوص بوك والطنيطر مناطق خاصة يطبقوا فيها الكلام اللى بينــادوا بيه ده وما احناش فاهمينه يا عم عبدو .

– ما هى دى أحياء الإصلاحيين يا حنفى، بس على جثتى اطاوعــه فى هوسه ابن المجنونة

– ما تسيبه يجرب يا عم عبدو

– يجرب لوحده بعيد عنى أنا وأمه وإخواته البنات .

– الله ! .. وهتقدر على بُعده عنك

– يبقى يزورنا ونزوره يا سيدى، طــول عمرنـــا عايشـــين فيهـــا بالإكرامية وقبول المحسوبية وبوس رجلين الأفندية، على أخر العمـــر هنطاطى لكلام شوية عيال .. ما تعلى صوت التلفزيون يا كفـــراوى خلينا نعرف الجديد

.. وتُناشد الوزارة جميع السادة المواطنين سُرعة التوجـــه إلى مقـــار السجل المدنى لإضافة الرمز الخاص بالمبادئ التى يرجون التعامل بهـــا بدءًا من اليوم، حيث ستّشير مجموعة الأحرف العشـــوائية " ح ر ص ل ع د ك ر " إلى سُكان البقاع الإصلاحية، بينما ستشير الأحـــرف العشوائية " ع ب ف س ظ ل م هـــ " إلى سُكان البقاع المُحافظة، وتشدد الدولة أنها لا تُحابى طرفًا على طرف، بل ســـتلزم منســـافة واحدة متساوية القياس لينعم كل بشرى فوق هـــذه الأرض بإطـــار حياته المُراد، ولن تتهاون قوات الحياد فى الضرب بيد من حديد على أى خرق لقانون يقع من أهل بقعة فى حق البقعة المُخالفة .

انطلق سيف الموت يحصُد الشهود الخمس تِباعاً، افتتح ضربته بسميح التربي .. تلاه حازم الواشية غيبته بذلك، أحس باسم بألا مهرب من هذا القدر، أفزع فؤاده قسوة الانتقام
رحل سميح وبيده أفراد بيته، غاب حازم وبجعبته أهل داره كما أخبره الجيران، ما دامت أوراق الدومينو الواقفة خلف بعضها البعض كُتب على أولّها مصير السقوط يقينًا سيتهاوى البقية، صار المؤرق تفكيره تخفيف حِدة الانتقام بعدما نقض الأوغاد وعدهم وسُرق حازم هو الأخر، أقّر الذهاب بقدميه إلى الهلاك مُستسلمًا راجيًا كسب التفاوض على حياة ذويه .. جذب محمود جانباً وأعلمه بما سيُقدم عليه .. .

- انت كده بتنتحر يا باسم !
- أنا بحاول انقذ أهلي اللى ملهمش ذنب.
- وانت ذنبك إيه !
- ذنبي إنى تواجدت أثناء جريمة كان ضرورى أفضل كفيف عنها، كلنا وبدون إرادتنا بندفع ثمن الصدفة .
- ليه بتفترض إن حازم وأهله لا قدر الله طالهم الشر
- حازم اختفى زى ما كان مُخطط لحسن يختفى.
- نسكت، نخرس زى ما شرطوا.
- حازم أول واحد تبنّى سياسة الصمت وما نجاش من بطشهم، أربع حيطان وباب مقفول، أنا ووالدى فقط، إحتمالية وجود شخص تالت معدومة، رغم كده كانوا حاضرين وسامعين، عيونهم شايفة

هزات قلبك .. ودائم سامعة سريان دمك .. الحساب فــورى فى أعز ما تملك .

- انت بتقول إيه ! .. باسم مش عايز افهم ولا اعرف انت بتــتكلم عن إيه، أنا هنادى، هصرخ ، ضرورى حد يسمعنا .. صـــحافة .. إعلام .. حكومة .. إحنا مش هنموت فطيس .

- إنت مش مسموع .. مش متشاف .. مش مخلوق

- خلاص اعتمدت حل الرضوخ !

- ادعُيلى انجح فى حفظ أرواح أهلى، أنا جيت أبلغك علشان ارفـــع عنك الحيرة وقت ما تلاقينى غبت، ولو طالك أذاهم تعرف إنى بريئ من المساومة على سلامتك، رقبتى قصاد سلامة بيتى، رقبتى وبس يـــا محمود، مفيش معاها ضفر زيادة من إنسان تانى، إوعاك تُسيئ الظـــن بيا زى ما أنا أسأت الظن فى حسن

خذل باسم رجاء محمود الرافض قِتلة ميسورة كالسائر إليها، تحسس موضع قدمه قبل الوَداع كى لا يشعر أحد بــه، ســيفتقد جميلتـــه، القديسّة عذراء الفؤاد من الحقد والكيد، هادئة الطباع حكيمة العقل، ذات الوجه الشمسى اللامع، مريم الساحقة بسمتها ألام مجرة بســائر كواكبها، نحت قُبلة أعلى جبينها، تمنى أن يستطيع مُعانقتها، عِنــاق يُرسل إليها سكينة وإطمئنان .. لا زجّ بطُهرِكِ بعد اليوم ياســيدتى داخل لُعبة تزخر بالرجاسة .

أقل إقترانًا ودعّ أبويه خشية إدراكهما، ثم فارق مُتقبًا عــن مــأمن أيامهم.

ولكن .. إلى أين يقصد للقاء السافكين ؟ .. لا هـــاتف ولا مقـــر، وحده سميح التُربى مَن يملك التواصل ..

" اللي تجَهله ويبعد عنك ضرره احسن من اللى تعرفـــه ويصــــيبك ضرره "

أرشده التدّبر إلى التواهى .. الأن مفتاح الوصل بيدِ خليفة سميح !

" z "

إياك واليأس من رفض أرض الأحياء قبول زرعتك، ألقها الأن في أرض الموتى وستحصد ثمارها في الغد، رُغم انوفهم ستثبت من شقوق تربة النابضين

هى اللحظة المأمولة فى عمر المدينة، أن يتبّخبر أعدائهم دون تقطير يُعيدهم ..

- دخلوا المصيدة .
- بالفعل يا فندم
- كل القطاعات تستعد للتنفيذ
- رهن إشارة سيادتك

****

أعماه الحرص على حياة ذويه الأبرياء فأكمل مسيرة هلاكه، سيناريو المُجريات لم يترك بابًا يُغرى بالنجاة ..

- مالك يا أستاذ شايفك بتتلفت يمين وشمال ! .. تايه عن قبر حد جاى تزوره ؟
- دلنى على بيت التُربى
- أنا عمك رحيل التُربى، أؤمرنى يا أفندى.
- رحيل ! .. تقرب لعم سميح الله يرحمه ؟
- أعوذ بالله، لا يا أفندى ولا اعرفه، وبلاش السيرة دى

ارتجف رحيل فور سماع اسم سميح، يبدو الرجل أكثر قتامة وأقل وداً من سالفه

- بُص ياعم رحيل بدون مقدمات، أنا عايز اقابل أسيادك
- أسيادى ! .. مفيش هنا أسياد يا أستاذ، واتفضل شوف مصلحتك بعيد عننا

– بهدوء كده ومن غير شوشرة، تعملى واحد شاى مُعتبر، عقبال ما اكون شربته تكون وصلت لحد منهم اتكلم معاه

أهل رحيل ما يلغو به وأهّم بتركه ..

– استنى يا رحيل، لو قلقان من تنفيذ طلبى، بالتأكيد هيكون قلقك أكبر بكتير لما يعرف أهل البلد بقصية الجثث المُتستّر عليها، ويا عالم وقتها هتواجه مصير سميح وأهله ولا هيفصلوا ليك موتة أبشع .

صدع باسم بالتهديد وهو يعلم أنه لا يقوى التنفيذ، أراد فحسب إرهاب رحيل لتسهيل وفاته، لن يُقدم على طيش يقصف أرواح ذويه..

صُعق الرجل من تهديد الشاب وركع كبرياءه أمام دلالاته حادة نصل الجدية

– اتفضل يا أستاذ .. شايك قرب يغلى .

لم يستغرق رحيل وقتًا طويلًا حتى عاد بوجه لُثّم لتوه عن الغريب، هجير النخبة المُكلف بهذا النطاق ما زال يتجرّع علقم الإخفاق مُكبلًا فى قبور التواهى ..

تعرف إنى احترمتك، بتفهمها وهى طايرة

– بعد حسن وسميح وحازم، أعتقد المفروض توصمنى بالغباء لو تخليت عن محاولة التفاوض .

– تفاوض على إيه يا باسم ؟ .. إنت خشرة ندوسك وقت ما نحب

– لوحدى، عيلتى ما لهاش دخل بالقصة دى .

- أه .. إنت خايف على اهلك يلاقوا نفس المصير وجـاى تسـلم رقبتك مُقابل سلامتهم، أصيل يا دكتره، بس اقحمت نفسك تانى فى زاوية ما تخصكش، سميح وحازم الله يرحمهم كانوا رجالتنا وعاقبناهم وفقاً للقانون .. شئ مُثير للشفقة إنك هتموت ببلاش، صُدفة زى ما دخلت الدايرة صدفة.

- حازم !

- ما تُرهقش عقلك فى التفكير، ده كان ماضى وانتهى.

- كلامك ليه تفسير وحيد، أنا ومحمود وياسين مش مُستهدفين ؟

- قبل ساعة كانوا تلاته، دلوقتى بقوا اتنين ما داموا ساكتين، مـش عجز بقدر ما هو عدم أولوية، بس اللى يرفض الرزق يبقى جاحـد، وإحنا ناس مش بتتبتر على النعمة أو ترفضـها، مـا دام حضـرت برجليك هنريحك ونرتاح من قلقك المُحتمل.

احُتجز المشّاء إلى حتفه دون داعٍ داخل ردّهة فسيحة مُترقباً خاتمته، لم يعُد مُباليًا بعقباه أمام ما يشهد من سوء، ينقصه فحسـب عـود سيجار وفنجان قهوة يرشُف من بذوره الغارقة مرارة أخير الأيام .. تّلقى قائد أحفاد التواهى ما أملته الرؤس العُليا ثم شرع التطبيق .. أضناه دوار مصحوبًا بتشوش رؤية فى بادئ الأمر، جفّ ما بفمه من لُعاب، هرع الساعات جالبة المزيد من العذاب، أخار القيـئ قـواه، تدلّى الجفنان وفقد لسانه قُدرة النطق .. ضرب الانقباض عضـلات جسده فأعجزها عن الحركة، وضع تخشُب الحجاب الحاجز مُرفقـًا

بتابعيه من عضلات جهازه الرئوى حدًا لسفالة المُعانــاة، فخمــدت أنفاسه شاهرة مقتله

و لم يخمد الدماغ عن إستعلام المقصد رِدف مقولة المُلثم أثناء رشّــه برذاذ " توكسين البوتيوليزم " .. انت غالى عند المهندس عصــمت عَلم قطاع الهندسيات، لكن مجمع النبلاء أغلى !

داهم خطواته لتستدعى هذا العزيز على عجل، رَمق هيئتــه، ســيرًا فسيرًا يجذب سجادة الأرض نحوه ومعها يُضحى أكثر إشراقًا، أعمى عقله الفرح فور تمييزه، تحركات يسيرة للعقرب بعدها ردّت للعقــل بصره .. فبكى باحتراق .

- وحشتنى يا صديق

أجابه الدميع، وانت اكتر يا سيادة العميد

- عميد مين بقى خلاص، البركة فيك، قرطستنا ياعم، طلعت عايش وإحنا اللى مُتنا .

- هنتقم ليك ولميسم ولحسن قاسم ولمصطفى الشريف، هنتقم لكل مغدور، هنتقم لتراب الأرض .

- مصطفى حكى كل شئ، دورك مش تنتقم يا أبــو علــى، دورك واضح، " لا تدعهم يطمسون جميع الورود "

غاب الحفيد المُنشق المُوكل برعاية حسن عن جلسة الرفيقين لعــدة دقائق ثم قَدم مُسرعًا ..

- قطاع الاستكشاف بلغنا إن مدينة التأسيس الأزلى فى حالة تأهب قصوى .. الوقت بيداهمنا، الهارده حسن لازم يكون بـره ومعـاه كارت الذاكرة المُحمل بمضادات الخطة " Z "

- بالسرعه دى ؟

- الزمن مُتباين ما بين عالمنا وعالمكم، اليومْ هنا مقداره شهر هنـاك، معاك بطاقتين، واحدة بتحمل رموز الإصـلاحيين والتانيـة رمـوز المُحافظين، وظفّهم وفقًا لطبيعة الموقف .. يلا يا بطل .

- وباسم !

- إنت الوحيد الحى وسطنا يا حسن، مسيرك هتلتقى بينا تانى بعـد عمر طويل ان شاء الله .

تباين العِناق هذهْ المرة، لا دمعات تقطر ولا أهـات تـئن، يُبـدى إصرارًا لكبح هذه الخطة المشئومة .. خطة إبادة بقاع الإصـلاحيين وتسّيد بقاع المحافظين إلى الأزل

أدام التطلع فى وجه ميسم، هنا فى هذا العالم، عالم الرُحّل مشـغولو البال بدنيا النابضين يقع فؤاده فى شباك العشق، أخجلها ثِقل تبجُحّه، ردت بإبتسامة وديعة أشّرت عن تفاعلها، وكأنّ هـذان الموقعـان المُتضادان جعلا الفتى يملك قلبان .. أحدهما لدارين دُنياه، والأخـر لميسم أخراه !

أشرق حسن إلى دنيا الأحياء عبر مقابر الامامين بحى الخليفة بالقاهرة وبعيدًا عن مدافن التواهى المُدججة بمُهجروّ النخبة حاملاً مضـادات الخطة " Z "

ارتاب الأجواء، تبدو البلاد فى وضع لا يُنذر بالخير، ولكن لا مُتسع لترقب مثالية صفائها، أمسك خريطة السير وانطلق صــوب قلعــة الحُكماء، أفسد ركضه كمين مُحكم على جنبة الطريق، مُســلحون يرتدون زيًا حالكًا غير تقليدى، يمّرع وجوههم ضفتان حمراوتان فى القلب منهما الغسق، شارة الكتف تقول .. " فيلق الصيد " !

جرى الكشف عن هوياتهم الشخصية، فُرّق بين أصحاب الــ " ع ن ب ف س ظ ل م هـــ " المُنتمين لبقاع المُحافظين وأصحاب الــ " ح ر ص ل ع د ك ر " المُنتمين لبقاع الإصلاحيين، انحاز حســن إلى فريق الــ " ع ب ف س ظ ل م هــ "عقــب إخراجــه البطاقــة الرامزة إليهم، إذا ما أضحى هولاء من الفاتكين سيأوى الســلامة، نقيض ذلك يستطيع إخراج الثانية وشرح الأمر بإطمئنان تام .

اقتاد المسلحون الفريقين إلى ساحة خالية، صُفّد الإصلاحيون بوثــاق يُلاصقه أعواد الحطب، دُفعت مشاعل السعير إلى المحافظين وأُمــروا بإحراق الصراصير !

– أنا لا يمكن اقتل إنسان برئ

– انسان ! .. بتسمى الحشرات دى إنسان ؟

كره التلاعب بمعتقداته فأبى ارتكاب جُرم يُصبح اقترافه شائعاً بعــد بُرهات

– مستحيل .. مستحيل انفذ

كُشف عن عضوه التناسلى فما وُجد وشم الخلود الــدائم الخــاص بنبلاء التأسيس الأزلى، وما وُجد أيضًا وشم الخلود المؤقــت الرامــز

لطبقة المعدومين من خدام المدينة، ذلك الفتى مُحافظ من المُتمــردين علىٰ مُعتقدات المدينة، أو جُرذ من جرذان الإصلاح المُتأمرين

سُحبت بطاقة الأسير ورُمي إلى أحد الغيتوات المُطوقة ليحيا لحظات الهول ويُقتل قِتلة بشِعة ..

داخل هذا الغيتو المُسيجّ قضى ليلته سجينًا وسط المئات يتّحين مقصلة إعدامه، تلك المرة سيتجّلى النهار جالبًا النهاية لا البداية كما يعتــاد، حال سوء طالعه بينه وبين إبلاغ ملف مضادات الخطة المشـــئومة إلى قلعة الحكماء .. التطهير يتحين بِضع ساعات.

ألم يكن جدير به قتل برئ الأن والسعى لإنقاذ ألاف بل ربما مئـــات الألاف من الأبرياء !

باشرت الأليات العسكرية مواقعها لإطباق خناق الإبادة، بدأ الهلـــع يدبَ قلوب المأسورين وشرع المرء يفَر من أهله

تَنبّه الفتى لرضيع يصيح دون أبويه معلق بيده بطاقة تعريف، يُــدعى هو الأخر حسن محمد قاسم !

. جَره إليه وأودعه كَتفه برفق، عدا ناحية مقابر الحى خالية الجثــث واقتحم أحد عيونها، كمم فاه الرضيع بلــين وطرحــه التــراب، ثم نادى..

إليكم يا رِفاق حُلم المدينة الفاضلة داخل عالم الموتى، لربما يصُبح هذا الرضيع وحيد النجاة من سُلالة الإصلاح .٠. لن أدعهــم يطمســـون جميع الورود

صبيحة يوم يُبطن جوفه الشر، فقدت هذه الأرض جميع وسائل الاتصال بالأراضى المجاورة، لا هاتف خلوى، لا بث تلفزيونى، لا بريد إلكترونى .. عُطلت المطارات والموانئ، تبّخر ولاة أمر الدولة وصُفدت قوات الحياد، تجمدت شرايين الحياة، أضحت الأرض كحلبة صراع تتّحلى للمُباراة، صُرع أهل بقاع الإصلاح جرّاء صريخ الإذاعات المحلية القادمة من البقاع المُخالفة، مُناداة بالسفك والانتقام ، دهس الكلاب وحرق الجُرزان، تحقير المساواة وتمجيد المحاصصة .. قطاع التطويع يعزف ألحانًا نازية لعينة ..

إنها ساعات المجد والخلود، أبيدوا مبادئهم العاهرة وجّذروا لأزلية دولتنا

رأس الحيوان تفقد قيمتها إذا ما أضحى الخلاص منها مُريحاً لبنى البشر، أسكتوا عويل الكلاب، وأحرقوا جحور الجُرزان، ثانيتان أو ثلاث كفيلة بجز ما بين أُذنى تلك القاذورات، أفضل ألا تُلامس أجسادكم الطاهرة لحومهم النَتنة، فلتسحقوهم برصاصة أو رصاصتين لن يُزعجكم ضجيجهم بعد الأن، سارعوا لخلاص بلادنا من تلك الحُثالة، إياكم والالتفات لأى روابط سبق وأن جمعتكم بهم سويًا، منَ يُفسد رفاهية دُنياكم بصراخاته وتململه ورغبته القائمة لنهش خيراتكم والتربص بكم ، لا يعدو أعز من كلب مُصاب بالسُعار على رأس شارعكم، أحرقوا الكلب وأبناء الكلب قبل إستلامهم شعلة التمرد من أبيهم

لا تتركوا جروًا يحمل الهوية الشخصية " ح ر ص ل ع د ك ر " على قيدِ الحياة، من يأبى القتل من أصحاب الــــ " ع ب ف س ظ ل م هـــ " يُجردّ من هويته ويُرمى إلى جحور الإعدام، لا تقـــديس ولا فداء إلا لُمعتقدات التأسيس الأزلى، تبًا للألفة والرحمة، لتقتدوا بأحفاد أبرويز .. أعينهم لا تفقه تمييز البشر، يقتاتون لحم ضحاياهم بسلامة صدر مُتناهية، يرقصون فرحًا إذا ما خُبّروا أنّ هذا اللحم لحم ذويهم، يُفنون حياتهم باسم قداسة مجمع النبلاء، كونوا كأحفـــاد أبرويـــز، كونوا كأحفاد أبرويز إخلاصًا ووفاءًا، كُونوا كأحفاد أبرويز لأيام معدودات، بعد سريانها فلتستعيدوا إنسانيتكم كما تشاءون

جرى القتل حرقًا، ذبحًا، طعنًا، رصاصًا .. جماهير الـــتطهير صـــاروا مسوخًا تُساق من قطاع التطويع، ربَض الفتى فوق ســـطح مقـــبرة الرضيع لجذب مجموعة التدخل المُباغت مُترقبًا الرحيل برفقته إلى دُنيا الميسم و الباسم ..

تذكر دارين، فتنبّه لورقة وضعها فى الجيب الخلفى، لم يكن يـــدرى ببوادر قدرته على نسج كلمات معسولة كتلك إلا الحين، شرع يُرثى عشق دنياه قبل السفر الأبدى ..

وكيف الحزن يتركنى ؟ وكيف الفرح يلقانى ؟ وكيف الثغر يبتسم؟ وكيف أُبيد أشجانى ؟

وكيف تجف دمعاتي، ويدها تضرم لهيب و-حداني، وكيف القلب يتناسى، من يُحيي النبض لقياها، وكيف العين تغفلها، وبصرى أسير رؤياها

وكيف لأنين الروح أن يَشفى، وعقار دائى طى يمناهـا، وكيف أجنب النفس نارا، نشبت لعشق ذكراها، وكيف الرحيل أطلبه، دون طعنة بيسراها

قطع رِثاءه و أجاب ترقبه فتاة يخلُفها مجموعة من الجنود، الليلة لا يسفك المسلحون وحدهم بل القاصى والدانى من أهل التأسيس الأزلى، كبّله الذكور أمام بابِ المقبرة وتركوا أُنثاهم تُنهى حياة هذا الجُرذ الأخير داخل الحى، أمسكت منشارًا سلسليًا يُدفع بالطاقة الهيدروليكية .. وضربت عُنقه !

بعد الخلاص منه، رُسمت لوحة تشع تشفيًا، رأس مُنعزلة عن جسدها، يجثم أنفها قدم يتبّسم وجه صاحبها حتى يوشك أن يُزال ما بين شقى فمه من حدود، نسجتها معشوقته غير المُخبّرة بعشقه فى دنيا النابضين .. الحسناء دارين !

– بطل نوم بقى يا حسن، العشرين درجة هيطيروا الله يسامحك يا أخى

– رقبتى يا باسم .. فين رقبتى .. الحمها بسرعه

– استهدى بالله يا ابنى، انت متكوبس ولا إيه ؟

استغرق وقتًا يُضاهى ما استهلكته يا عزيزى فى قصاص مخاضه

- ده انت نكتة يا حسن .. يا ابنى الأرض دى هتفضل حتة لحمة واحدة .. وتقولى إنت فى حد عايز يقطع اللحمة الوطنية ! .. صحصح كده يا أبو على خلينا نشوف هنتعامل مع مفرمة الفارما إزاى وسيبك من مفرمة الكوابيس بتاعك .. موتنا كلنا الله يحرقك

غادرًا بوعده لباسم، اطلق العنان لعناوين أخبار الساعة تُحيطه بمستجد الأوضاع رافعًا صوت التلفاز ومخترًا السير إلى المرحاض، قبل البلوغ باغته من يتلو بصليل برق فتحجّر فُجاءة ..

.. وتُناشد الوزارة جميع السادة المواطنين سُرعة التوجه إلى مقار السجل المدنى لإضافة الرمز الخاص بالمبادئ التى يرجون التعامل بها بدءاً من اليوم، حيث ستّشير مجموعة الأحرف العشوائية " ح ر ض ل ع د ك ر " إلى سُكان البقاع الإصلاحية، بينما ستشير الأحرف العشوائية " ع ب ف س ظ ل م هـ " إلى سُكان البقاع المُحافظة

دسّ يده فى الجيب الأمامى فوجد ما يبحث عنه، كارت ذاكرة تقول لاصقته .. مضادات الخطة " Z "

تمت

حسناء للنشر والتوزيع



الإسكندرية ، ج . م . ع

01018831361

01022842898



تضاربت المشاعر فى فؤاده. صار كقطعة مُعجنات تحوى رهبة و إستثارة وارتياح. يتخطى الحارات واحدة تلو الواحدة. يُمسك بإحدى يديه مصباح إضاءة وبالأخرى مفتاح خلاصه. هى عشرات الثوان استغرقتها قداماه ليرمق الرقم ٣٥ مرسوماً فوق سطح قطعة صفيح بالية .. تعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق .. منذ سنوات لم يلجأ لدعاء كهذا. أجل .. فبمضى العمر تحرق ذاكرتنا عديد أشياء تلقيناها عند الصغر .. استدار يميناً وترّجل خطوات محدودة. سلّط ضوء مصباحه ناحية العين رقم ٥ ..

هنا يرقد الدكتور حسن محمد قاسم. المُتوفى فى الأول من ديسمبر ٢٠٣١. نسألكم الدعاء !

غلاف : حسام إبراهيم

